

أوقيد

فكر الهوى

ترجمه و تقديم له

د. ثروت عكاشة

رأى محمد عبد الحليم

د. مجدى وهبة

فَنُالَهُوِيَّ
أَوْقِيلَ

الإخراج والإشراف الفني
عبد السلام الشّريف

اللوحات الملونة بريشة الفنان
يوسف فرنسيس

الناشر: دار الشُّروق

الطبعة : ١٦ شارع جواد حسني ت ٢١٢٩٣٢٢ / ٢١٢١٥٧٨
فاكس ٣٩٣١٨١٤ - صاكس ٩٢٠٩١
٨ شارع سيّدة المصطفى - مدينة نصر ت ٢٦٢٣٢٩٨
٢٦٢٣٥٤٨ - صاكس ٦١٧٥٦٧

نيوزوت، مارالياس - شارع سيّدة صندنايا - بناية صندنا
ص.ت.ب ٨٠٦٤ - بوليفيا، داسكروك - صاكس ٢٠١٧٥١٤
٨١٧٧٦٥ - هانك، ٧١٥٨٥٩ - ٨١٧٤١٢ - ٨١٧٧٦٥
٣٠٧٩٨٤ - ٨١٧٥٥٥

فَنِ الْهُوَيَّ أَوْقِلْ

تَرْجَمَهُ وَقَدَّمَ لَهُ
دكتور ثروت عكاشة

رَاجِعَهُ عَلَى الْأَصْلِ اللَّاتِيْنِي
دكتور مجدي وهبة

مقدمة



لا يكاد القارئ يطالع كتاب « فن الهوى » Ars Amatoria لمؤلفه بوبليوس أوفيدوس ناسو حتى يستهويه ما جاشت به عواطف هذا الشاعر وما انطلق به لسانه في عبارات أنيقة وصياغة دقيقة للأساطير القديمة ، فيها مزيج من ثقافة عصره وأحاسيس وجدانه ، حتى أنه ترك أثراً واضحاً في مختلف فنون العصور التالية حتى عصر النهضة ^١ .

ولكي نقدر الشاعر قدره الحق ، ونعرف لشعره منزلته فلنخض في سيرته لحظة لنلمّ بجوانب شخصيته وسلوكه وندرك طرفاً من أسلوب العصر ونهجه حتى نعرف ما كان للبيئة التي عايشها الشاعر من أثر في حياته ومدى استجابته لها ، فقلما يفلت الفنان من أثر البيئة التي ينبت فيها .

ولد أوفيد لأب موسر في مدينة سولمونه على بعد تسعين كيلومتراً شرقي روما ، وكان مولده سنة ٤٣ قبل الميلاد وتوفي سنة ١٨ ميلادية بمنفاه في بلدة « توميس » ^٢ على البحر الأسود ، أي أنه

(١) انظر مقدمة كتاب مسخ الكائنات « ميتامورفوزيس » لأوفيد ، ترجمة د. ثروت عكاشة . الهيئة المصرية للكتاب . القاهرة ١٩٧٢ .
(٢) كونستانزا برومانيا الحالية .

عاش اثنين وستين عاماً عاصر فيها العصر المتأغرق^١ ونهل من ثقافته وتأثر بتقاليده خلال عصر الإمبراطور أوغسطس ، وكان أوفيد آخر الشعراء الأوغسطين ، وزامل منهم هوارس وپروپيرتيوس وفرجيل أشهر شعراء ذلك العصر وأحد أصدقائه المقربين .

ولقد أعدّه أبوه ليشغل وظيفة في الحكومة فانتقل إلى روما مع أخ له حيث اختلفا إلى المدارس هناك يتلقيان العلم على أيدي أساتذة البلاغة المشهورين . غير أن أوفيد رأى بعد حين أن مواهبه تألي هذا اللون من التعليم الذي ينتهي إلى وظيفة إدارية أو سياسية ، فنبأ عنه ذوقه ولفظته مشاعره ، وأحس بمجافاته لفطرته الشعرية وميوله الفنية التي تدفعه دفعا إلى الانغمار في عالم الشعر . وإذا أحس أوفيد في قرارة نفسه أنه لم يولد إلا ليكون شاعراً ، وأن الشعر يتدفق من بين شفثيه تدفق الماء من الينبوع ، عزف عن دراساته الجامدة تلك ، واهتم بأن يلتقي رجال الأدب في روما وأن يختلف إليهم ويتصل بهم ، ولم يلبث أن صار مرموقاً بين خلان على حظ من الدعابة والمرح ، يغشى معهم مجالس الأدب والفن ، واللهو والمتعة .

وتولى أوفيد القضاء حيناً ثم توفي والده مورثاً إياه ثروة استطاع بفضلها أن يتحرر من ربقة الوظيفة التي طالما ضاق بها وأن ينطلق في الميدان الذي يهواه مخلفاً للإنسانية مجموعة من الأعمال الشعرية اتسمت بالأصالة والجزالة ، واحتفظت برونقها على مر العصور .

ومما نال من مشاعره وأدمى نفسه نفي الإمبراطور أوغسطس له إلى مدينة توميس على البحر الأسود وذلك على إثر ظهور كتابه « فن الهوى » مدعياً أنه دعوة لأخلاقية ، بينما ينسب شاعرنا هذا النفي إلى إذاعته سراً من الأسرار لا لجريمة من الجرائم . ويشيع البعض أن النفي كان عقاباً على مغامرة طائشة لأوفيد مع الأميرة جوليا ابنة الإمبراطور ، وأياً كان السبب فلقد ظل الشاعر في منفاه إلى أن وافاه أجله المحتوم .

(١) ويشمل القرون الثلاثة الأخيرة .

وكان عهد الامبراطور أوغسطس عهد انتقال بين توزيع السلطات في النظام الجمهوري ونشأة الدولة العسكرية التي لم يقدر لها أن تعيش مستقرة خلال عهود الإمبراطورية الرومانية ، كما تميز هذا العهد بروح التفاؤل العام فما كانت له صلة باستقرار النظم السياسية في الداخل ، والزهو بانتشار الحضارة الرومانية في أنحاء العالم المعروف آنذاك . وكان لا بد أن يساير هذا الشعور بالاطمئنان جو من التفتح والانطلاق والمرح ، وتنفيذ المشروعات المعمارية الكبرى ، وتنمية الفنون والآداب ، لا على يد الامبراطور فحسب ، بل كذلك على أيدي طبقة من رعاة الأدب الأثرياء الذين عاد عليهم الاستقرار الاقتصادي والسياسي بالفائدة . ولقد جاء تمجيد الثقافة في ذلك العصر محاكاة لما وصلت إليه الحضارة اليونانية القديمة من رقي وازدهار ، وأصبحت عبارة « الثقافة الرفيعة »^١ تعني كل ما يتميز به مجتمع أطرح الطابع العسكري والانغمار في السياسة ليلتفت إلى تهذيب النفس والتأمل في شتى نواحي المعرفة ، والظماً إلى الاستمتاع بحضارة تحقق سعادة عاجلة في هذه الدنيا . ولم تكن تلك الميول عند الطبقة الحاكمة غير مجرد أحلام تتحقق حيناً في حلبة الألعاب حيث كان الامبراطور يأمر بتقديم مشاهد فيها إسراف وغلو ، أو في وليمة يقيمها ثري على مدى أيام تجمع كل ما يبهج النفس ويسر العين ، أو في ملحمة شعرية تعيد إلى الأذهان مجد ملاحم الإغريق ولكنها تتناول موضوعاً يهم الرومانيين جميعاً ويمت بصلة إلى حضارتهم الفريدة كما فعل فرجيل في « إنبادته » . غير أن المجتمع الروماني مع زهوه في ذلك الحين بخطباته من أمثال شيشرون ، وشعرائه من أمثال فرجيل وهوارس وأوفيد ، وبرعاة الفنون من أمثال ميسيناس ، وبقاداته الشبان الملهمين من أمثال ماركّلوس ، كان يعاني من تسرب الاستبداد إلى نظمه ومن استهتار أباطرته وتآلهم ، ومن تزايد الفقراء واللاجئين من أسري الحرب والأرقاء والشعوب البربرية المهزومة ، ومن صغار الفلاحين النازحين من القرى المجاورة بحثاً عن أرزاقهم

في روما بغير أمل . وهكذا وقع المجتمع الروماني في تناقض بين العدالة والاستبداد والديمقراطية والطغيان ، وأمست « الثقافة الرفيعة » بمثابة لحن شجي يرقص له مجتمع الملذات وهو على حافة بركان . وقد عكس الشاعر هوارس هذه الصورة في قصيدة مشهورة له يقول فيها :

« وقبل أن نفرغ من حديثنا
سيكون الزمن ، ذلك الغادر
قد ولى هارباً
فاقبض إذن على يومك^١
ولا تثق مثقال ذرة في غدك »

وظهرت في عهد أوغسطس حركة جياشة تهدف إلى تغيير مسار الحضارة وإحياء مُثل الماضي وأخلاقياته وتحويل الشعب الروماني إلى مزارعين جادين متواضعين وجنود بوسائل وساسة مثاليين . كما اتجهت هذه الحركة إلى الحياة الخاصة للأفراد محاولة إعادة معايير الأجداد الغابرة وعقائدهم ، والرجوع إلى نماذج العصور الماضية في الفن واللغة والأدب . وكان الامبراطور أوغسطس على رأس هذه الحركة يغذيها ويباركها ، غير أن أوفيد لم ينشط لتأييد الاتجاه الذي تبناه الامبراطور بل اندفع مؤيداً حركة الانطلاق والتفتح .

وكتاب « فن الهوى » يجمع بين دفتيه ثلاثة كتب أنشأها المؤلف في العامين الثاني والأول قبل الميلاد ، وكان قد بلغ الأربعين أوزاد عليها قليلاً . فليس غريباً إذن أن تكون نظرتة للحب غيرها حين كان في العشرينات .

فما من شك في أن المؤلف كان ذا خبرة واسعة في فنون الهوى تتفق ورجل في الأربعين اكتملت له رجولته ، يحيا في بحبوحة ، موزعاً زهرة عمره بالقسطاس بين المتعة العاطفية والحسية ، ولا بد أن يكون قد تدرج في أحاسيسه العاطفية شأنه شأن الشباب ، ولم يتجمد عند حدود الحب المثالي أو الحب المندفع الأعمى اللذين يستهدف لهما ابن العشرين ، بل كانت نظرتة إلى الحب حينذاك قد نضجت مع دخوله طور الرجولة فوقف في النهاية على قمة تجاربه واثقاً ممسكاً بزمام تلك العاطفة عليماً بجباياها وأسرارها ، فإذا أوفيد يسوق الحب على أنه لعبة من الألعاب أو تسلية يتسلى بها ، بل وجعل لها أصولاً وقواعد إذ غدا الحب في رؤياه طرفة من طرف الحياة ومتعة من متعها . لهذا كان فيما يتحدث به إلى الناس عن الحب يسيراً أكل اليسر ، لا ينجح إلى التعقيد ولم يلتزم مساق الحب في التراچيديات الإغريقية التي يتسلط القدر على المشاركين فيها ، كما لم يكن المساق كذلك على نمط رومانتيكيات القرن التاسع عشر التي انحدرت عن « الحب الرفيع » في العصور الوسطى ، يستشهد المرء في سبيله ، وتسيل عبراته ويكاد يصاب بالخبل والهوس . وكذلك لم يكن الحب لديه على نسق الحب الصوفي الذي يدلّه فيه المرء ويولّه فينفصل عن العالم بجسده ولا يشارك فيه إلا بروحه مشاركة لا ينال جسمه فيها متعة . لم يكن الحب في نظر أوفيد شيئاً من هذا كله بل كان تلك المتعة وذلك اللهو اللذين أصّل لهما أوفيد بأصول وقواعد . وإذا كانت تلك نظرة أوفيد ، فمن أجل هذا جاء عرضه لنظرتة عرضاً يتسم بالسخرية ينال فيها من يشاء ، يستوي في ذلك أن يكون من نال منهم آلهة أو بشر ، ورأى أن يقدم إلى شباب جيله والأجيال التالية حصيلة خبراته أستاذاً متمكناً ، مغلفاً هذا كله بغلاف من خفة الظل والذكاء ، مازجاً بينه وبين الأساطير التاريخية وثقافة عصره التي كان عالماً بها وقديراً على سردها والإفادة منها .

ولا أدل على ذلك من استهلاله الرشيق الموشى بالدعابة الذكية وبالثقة بالنفس حين يشرح قدرته على أداء مهمة آلى على نفسه أن يبدعها خدمة للهوى وأهله ، فيقول إنه لن يدعي كذباً بأنه تلقى الإلهام بهذا العمل الأدبي عن الإله أبوللو أو غيره من ربّات الفنون ، وإنما ينبئنا بأن فينوس أم إيروس (كيوبيد) قد اختارته شاعراً ليكون وصياً وأستاذاً خاصاً لابنها (١ - ٧) بعد ما عانى هو نفسه من جرح سهام الحب فيما سبق ، وأن الفرصة قد واثته ليثار من الصبي الصغير الذي عذّبه الحب فيما مضى (١ - ٢٣ / ٢٤) . وسوف يكون انتقامه بحرمان كيوبيد من أن يخطط قدر العاشقين بسهمه ويعيد العاشق سيد نفسه ومالك قدره ومصيره في لعبة الحب . ويشير أوفيد بهذا إلى أنه ينوي أن يستبدل بالعاطفة الغريزة المندفعة في حمق أهوج نوعاً آخر من الإيقاعات السارة الشجية التي لا يحسنها إلا كل ذي تجربة واعية .

و « فن الهوى » وإن كان مستقى إلى حد كبير من إيجياته^١ السابقة ، إلا أنه يخالفها في قسمات كثيرة ، فبينما نجد في كتابه « الغزليات » أن الشاعر قد اصطنع العاطفة اصطناعاً لخدمة القوالب الشعرية نراه في « فن الهوى » يروي قصص أفراد ويضيف إليها تعليقه الشارح ، فهو يصور مواقف نمطية ويشرح للمتلقى كيف يتصرف إزاءها ، ويتنبأ بما قد يكون لدى المرأة من انعكاس لتصرفات الرجل ، ويوازن بين الفرص والمخاطر وبين المزايا والمثالب ، ويوصي المحب الذكي باتباع بعض الحيل والمناورات ، كما يحذره من غيرها ضارباً أمثلة بحكايات من الأساطير يسردها في براعة وإبداع ، « ففن الهوى » يعد أكثر مؤلفات أوفيد وضوحاً في هذا المجال . وإذا كان المؤلف يسبغ على نفسه مقومات الأستاذية ، يظل طوال الوقت خلال مؤلفه صافي الدهن يحول دون أن تطمس سحب العاطفة عقله ، فالعاشق المثالي ، كما يراه أوفيد ، ليس بالصبي الحالم الخيالي ولا هو بالذي يسمح لنفسه أن تفقد ذاتيتها في غياهب العاطفة .

وينقسم « فن الهوى » كما سبق أن ذكرنا إلى ثلاثة كتب ، يشرح في أولها كيف يجدّ طالب الهوى ساعياً ليستولي على قلب خليلته ، وفي الثاني يعلمه كيف يحتفظ بحبها إلى أطول أمد ممكن ،

(١) الشعر الإليجي هو نمط من الشعر شاع استعماله في الأديين اليوناني والروماني ومعناه قصيدة غنائية يلي فيها كل بيت من الأبيات الخماسية التفعيلات بيت من الأبيات السداسية التفعيلات من الوزن الدكيلي . وما أكثر استعمال هذا النمط الشعري اليوناني الأصل في الشعر الروماني كما في شعر كاتولوس وتيبولوس وأوفيد .

وفي الكتاب الثالث يتوجه إلى المرأة بنصائحه فيعلمها كيف توقع الرجل في حبائلها وكيف تحتفظ به تحت أقدامها أطول مدة .

يبدأ أوفيد عرضه ملخصاً برناجه : فالكتاب الأول يعلم مريده كيف يسعى ليحظى بقلب معشوقته في ميادين الصيد المواتية مبصراً إياه بأن حبه المنشود لن يهبط عليه من السماء دون جهد ، وعليه أن يعرف كيف يتجول منقباً في أنحاء روما التي يمكن أن تمتد بنساء من مختلف الأنواع .

ولقد وجد في المسرح (الملعب) مكاناً مثالياً يسعى فيه إلى ضالته مستشهداً في ذلك بحكاية رومولوس مؤسس روما الذي كان قد خطّط لاختطاف النساء « السابينات » في مسرحه البدائي . وحين يصل أوفيد في عرضه إلى هذا ينطلق سارداً أحداث الأسطورة مبدعاً في قصّها على صورة تستدر الرثاء وتثير السخرية بينما يعزف على آله في سر تام ، ولبمسات رشيقة يطلق ألقاباً مرحة جليلة .

ويجد أوفيد كذلك في الملعب مكاناً للصيد استغل فيه إيجيته عن سباق المركبات الحربية التي جاءت في كتابه « الغزليات » فنقل منها سطوراً . وفي أكثر من موضع من كتابه « فن الهوى » يؤيد أوفيد آراءه بسرد مزيد من القصص وكأنه في ذلك يهين مؤلفيه التالين وهما « مسخ الكائنات »^١ و « تقويم الأعياد الرومانية » .^٢

والكتاب الثاني الذي يتضمن الحفاظ على المحبوبة نراه أقل إثارة من الكتاب الأول ، وإن كان أرق منه وأشد اتساماً بالذاتية . ففيه يوصي الشاعر مريده بالألّا يحرص على المتعة العابرة حرصه على أن تمتد الصلة الغرامية زمناً طويلاً . إنه ينصحه بالعناية عند اختيار الشريكة ويحذره من الانزلاق في تهور إلى حب فتاة يلقاها عرضاً في وليمة ، فما أكثر ما يزيغ النبذ والنور الخافت الحكم على صفات المرأة وسماتها .

Metamorphoseon (١)

Fasti (٢)

وإذا أنعمنا النظر فيما أسدى من نصائح في كتابه الثاني نجدها في جوهرها تحت على الاتزان والتواضع والمثابرة ، ولكنه يخفي وراء هذا الستار حرباً ، إذ يعلن صراحة أن « الحبُّ حربٌ » ، مغلفاً قصده برقة تبدو طبيعية تلقائية بينا هي تضرع دهاء وسخرية لاذعة .

وفي الكتاب الثالث يكفّ أوفيد عن توجيه أترابه من الرجال ملتفتاً إلى النساء يسدي إليهن النصيح ، وهو في هذا الكتاب يناقض أسلوبه في الكتابين السابقين دافعاً الرجال بالعبث مؤيداً حجته بأساطير تكشف قدر الرجال وتمجد وفاء النساء في براعة مذهلة . ولا يخفي ما في هذا من خبث ... إذ أن النهاية ستظل كما أرادها تحقيقاً لأهدافه الواقعية التي ينشدها من وراء مؤلفه ، فلا يهم من البادئ باستخدام الحيلة . وما من أذى ينال أحد الطرفين في لعبة الحب طالما أجاد اللاعبان أداءها ، فكلاهما سيطفر بنصيبه من المتعة المتبادلة .

« وفن الهوى » قصيدة شعرية تعليمية على الوزن الإليجي لم تجاف نسق الشعر في عصرها حيث كانت القصائد التعليمية الإرشادية هي بدعة العصر ، وكان للشاعر أن يضمّن النصيح شعره التعليمي في أي موضوع يشاء . فإميلوس ماسر - صديق أوفيد - قد نظم شعراً سداسي التفعيلات في سموم الأفاعي والعقاقير الطبية ، بينما نجد الشعراء الآخرين يضمّنون شعرهم نصائح في آداب اللياقة وفي أنماط الألعاب والرياضات البدنية المختلفة أو الاحتفاء بالزائرين في المنازل أو تنظيم ولائم العشاء . ولقد جرى أوفيد في « فن الهوى » معاصريه من الشعراء فتناول فيه الحب على أنه نوع من أنواع الرياضة أو اللعب والتسلية الاجتماعية .^١

والحب وإن كان لا يسهل إخضاعه للجدل العقلي إلا أن شعر الغزل الجنسي في روما ، كان يناقش منذ البداية على أنه قضية من القضايا التي تلقن ، حتى أن مجموعة من الإليجيات التي لا يربط بينها رابط قد نظمت لتمثل كل الوجوه والنواحي الرئيسية للعاطفة في أمثل صورها وأكثرها إمتاعاً للنفس . وبهذا المنحى يبرز أوفيد معاصريه من الشعراء الذاتيين مثل تيبوللوس وپروپيرتيوس الذين كانا لا يعكسان غير أحاسيسهما الشخصية ، وهكذا كان أوفيد في صراحته المحيرة وتهكمه اللاذع أبرع منهما فطنة فيما يتصل بأنانيته .

(١) ألف أوفيد بعد نفيه قصيدة سلوان الحب Remedia Amoris يستحث الناس فيها على اطراح الهوى والانصراف إلى ما هو مفيد كالزراعة والرماية والصيد والأسفار .

ويتميز أسلوب أوفيد في هذا الكتاب بخصائص عامة ، أهمها وضوح الرؤية والموضوعية .
والذكاء ، وخفة الظل ، والسخرية ، والثقافة الواسعة ، وحبه للدعابة وكرهيته للحرب والقسوة .
وافتنانه بالحياة والمتعة ، وهيامه بالمرأة مدركاً ما فيها من مفاتن ناعياً نواقصها . كما يتميز بقدرته
على الانتقال من موضوع إلى آخر في لطف ومهارة بحيث لا يكاد يلحظه القارئ .

ومن قبيل خفة ظله افتتاحية كتابه الأول حين يعبر عن كيوييد « بالصبي الغض رب الهوى » ،
ويدعى أن فينوس أم كيوييد قد اصطفتته وصياً على ابنها ، ذلك الصبي الإله الذي طالما جرح قلبه
بسهامه فيما مضى ، وأنه قد آن الأوان ليثار لنفسه منه .

ثم ينتقل ليشبه الحب بالحرب ، وأن مركبته لا تعدو حدود هذا الميدان الممتع ، ويظل يردّد
هذه الدعابات خلال كتابه الأول ، ويعود إلى تردادها في كتابيه الثاني والثالث . ففي كتابه الثاني
يقول في تصديره :

« غنّ يا فتى » النصر لنا »

وردد « النصر لنا »

فقد وقعت من كنت أطاردها

فريسة في شراكي .

وليتوّج بإكليل الغار جبيني

من أسعده العشق ،

وليرفعني فوق مرتبة هسيود شاعر أسكرا

وهوميروس الضريع الخ .

وبين الحين والحين يردد مثل هذه الدعابات حتى يصل إلى كتابه الثالث فيصدّره بقوله :

« ها أنذا قد منحتُ الإغريق سلاحاً
كي ينازلوا به الأمازونات
وقد آن لي يا پتسليا
أن أمدّك بالسلاح لمقاتلة الإغريق
هيا خوضي ومحارباتك الباسلات
معركة متكافئة

ولا تكاد تمر صفحات من الكتاب حتى يعود إلى مداعباته في رقة بالغة ، وإتقان مبدع .

ومما ينصف أوفيد فيما انتهجه في « فن الهوى » بدؤه الكتاب الأول بما يوحي أنه سوف يترك جانباً الحرائر المُحصّنات وأنه سيقصر نصائحه على الإيقاع باللاهيات فيقول :

« وأنتن أيتها الحرائر المُحصّنات
ذوات العصابة الدقيقة والتنوّرة المرسلّة
التي تلف ثناياها القدمين
أعزبن عني
فسأغتنّي للهوى المأمون
سأغتنّي للهوى المستور
لا حرج عليه
ولهذا لن تجدنّ في أشعاري ما يُستهجن . . . »

ويؤيد هذا إلى حد ما سخريته اللاذعة بالأزواج الذين يطلقون الحبل على الغارب للزوجات
اللاهيات يسترسلن كيف شئن ، فهو يغلف هذا المعنى في أسلوب قد يخفي على الناظر في الكتاب
لأول وهلة فيحمله على غير معناه ، ولكنه لو تأمله في عمق يجد فيه ما نشير إليه من تلك السخرية
بالزوج من هذا الصنف ، فهو يقول :

وارع زوج محبوبتك رعاية نُظَّار الضياع
يبالغون في الاهتمام بما وكل إليهم
ليستزفوا منها مزيدا

* * * *

« ارفع كأسك وقل
في صحتك يا سيدتي
وفي صحة من ينعم إلى جوارك في الفراش
بينا يردد قلبك
« فليمض الزوج إلى الجحيم سريعا »

ويمضي أوفيد ، مرة أخرى ، في مداعبة الأزواج حين يطلب من المرأة اللاهية أن تلقي في روع
حبيبها الخوف والغيرة من زوجها ، ثم يستطرد في نصائحه للزوجة فيقول :

« أوشكت أن أغفل وصف الأساليب
التي تخدعين بها زوجاً ماكرأ أو حارساً يقظاً
فمن الخير أن تخشى الزوجة زوجها
ومن المألوف أن يحرسها أدق حراسة
ولكن لا يسوغ له أن يتجسس . . . الخ »

وعلى الرغم مما كان يجول بخلد أوفيد من شكوك في القيم الأخلاقية خلال تأليفه هذا الكتاب إلا أنه عاود النظر فيها من جديد ، إذ يعود فسيتنكر نصائحه على التوقائلا :

« فطريق الخداع تحت ستار الصداقة مأمون مطروق
غير أنه طريق آثم » .

وتذهب السخرية بأوفيد إلى أبعد الحدود ، فأهة زمانه لم تسلم من لسانه ، إذ يقول في الكتاب الأول ساخرأ من أخلاق مواطنيه :

« فإله الخمر
يجلوما يجبي معاقره
ليبدو الثمل صريحا
صراحة ما أندرها في هذا العصر »

وهو يستخدم أحيانا عبارات جادة معروفة لبعض معاصريه من الشعراء في مواقع ساخرة .
من ذلك عبارة فرجيل المشهورة :

« هذا هو العناء ، وهذا هو العمل الجاد »

فقد ختم مجموعة من الأبيات الساخرة عن تقديم الهدايا للمعشوقة بقوله :

« بلا هدايا مسبقة
أظفر بـحب معشوقتك
هذا هو العناء وهذا هو العمل الجاد »

أما السخرية من الآلهة فهي شائعة في كل أجزاء الكتاب . إذ يقول في الكتاب الأول مثلاً :

« إن چوپيتر في عليائه
يضحك ملء شديقه
على قَسَم العشاق كذبا
ويأمر رياح أبولوس أن تذروه أدراجها .
فچوپيتر نفسه
ألف أن يقسم لچونونبهرستيکس زيفا
فما أحراه أن يناصر من هُم على شاكلته
يتبعون هديه
حقاً أن للآلهة نفعاً عظيماً » .

ويورد في الكتاب الثاني قصة مضحكة تزري بأقدار الآلهة جميعاً حين وقعوا على قينوس
متلبسة بجريمة الزنا .

ويستحيل علينا أن نتابع سخریات أوفيد وخفة ظله، وإلا لنقلنا أكثر الكتاب إلى المقدمة .

ويبيدي أوفيد في هذا الكتاب تمسكه بقيم تنطوي على المروءة ، ففراه يعيب أولئك الذين
يدنسون أسرار قينوس ويتباهون بمغامراتهم الغرامية الناجحة ، وأولئك الذين يغتصبون الفتيات
لا لشيء سوى تلطيخهن بالعار والمفترين على السيدات بغير حق .

« ما كان أشد شعور الحياء عند البسطاء
أما اليوم فنختال بمغامراتنا الليلية
وان الناس لعلی أهبة أن يدفعوا أبهظ ثمن
لا لشيء إلا لأن يزهاوا بمآثمهم

هناك قوم يختلقون على النساء قصصا
ولو أن ذلك كان حقا لأنكروه في إصرار»

ويعكس الكتاب ما في نفس أوفيد من أنه رجل سلام يكره الحرب والعنف رغم تملقه
الإمبراطور في أبيات معدودة ، ولعلها أضعف ما جاء فيه من شعر وتصوير ، وهو ما يؤكد أنه
لا يؤمن بما يقول .

ومن قبيل رفضه لأعمال القسوة والوحشية التي كان يتلذذ الرومانيون بمشاهداتها في المصارعة
والمجادة في « الفورم » يقول أوفيد سائراً حزيناً . .

هذي حيل من غزل العصر
يسطها سخيّاً جو الملعب
و« الفورم » أيضاً يمنحك الفرصة كاملة
رغم رمال الأرض المبتلة حزناً
سُخطا
حيث تُراق دماء
لتسري عن الجمع

ويردّد ذلك أيضاً في مكان آخر حيث يقول :

« ولتحرز في باطنك
ما يسمو فوق ظاهرك
وخير ما يستميل القواد ،
تدليل في فطنة ،

فقول خشن لا يورث غير الكراهية
والحرب الضروس «

أما اهتمامه بالثقافة فيتجلى في ظاهرتين ، أولاهما حث الشباب على أن ينهلوا منها ، وثانيتهما
في أسلوبه هو نفسه وسرده للأساطير بأسلوب جذاب ممتع .

ومن قبيل حثه الشباب على التمسك بالثقافة ما جاء في الكتاب الثاني من نصيحته للشباب
بالابتعاد عن الخرافات والسحر واستعمال العقاقير والأعشاب ، فيقول :

.....
« كن على ثقة بأنك لن تحتفظ بمحبوبتك
إن لم تضيف هبة العقل إلى ميزات جسدك .
.....
.....

إذن فابدع لنفسك روحاً مشرقة صِئْواً لجمالك
فهبي وحدها تبقى بجوارك
حتى ساعتك الأخيرة فوق المحرقة
واحرص على إنماء عقلك بالفنون والآداب
ولا تجعلها في مرتبة أدنى
ولا يفوتك علم اللغتين على الوجه الأكمل » .



أما حرصه على سرد الأساطير ، وصياغته لها وربطه للواقع بالأسطورة فهو في الحق سمة هذا الكتاب وميزته الكبرى ، تنتظمه من أوله حتى منتهاه ، تأسر القارئ وتطوف به على أجنحة رقيقة محلقة ، تودع نفسه سر الإبداع الشعري لهذا الفنان القدير .

هذا إلى ما كان لأوفيد من معرفة عميقة بكل خفايا حياة عصره ، حتى وصل إلى دقائق أسرار الزينة لدي الرجل والمرأة على السواء مما يجعل من شعره لوحة متكاملة ، استلهم فيها ذلك الزمان ، نطالعها فنطالع فيها عصرًا بأكمله .

إن خبرة أوفيد بما في طبع البشر لا سيما الإناث ، وإلمامه بالحياة الاجتماعية في روما ، هذا إلى تشبيهاته المبسطة المعجزة اللافتة التي جاءت على صورة مدروسة ، تلك الصور المنتزعة من عالم الحيوان والحياة الأخرى المحيطة به من صيد وفلاحة وملاحة ، وانتفاعه بالقصص المأثور الذي لم يجد مندوحة من تضمينه كتابه حرصاً منه على ألا يفوته من ذلك التراث الرائع شيء ، هذا كله يتألف مع عناصر أخرى كالدعابة والسخرية وسرعة البديهة ، ليضفي على قصيدته « فن الهوى » في النهاية جاذبية لا تجاري ، جعلتها جديرة بأن تكون أحد الأعمال الفنية المنبثقة من مجتمع روما المتألق المستهتر عهد الامبراطور أوغسطس ، فلا عجب إذن أن تكون قد أثارت غضب الامبراطور .

ومن العسير علينا تصديق أوفيد حين يدعي أنه لم يقصد النيل من القيم الأخلاقية في روما ، فلا شك أنه كان يعلم تمام العلم أن ثمة فوارق واضحة في مجتمعه كانت تميز بين الحرائر المحصنات^١ والعداري^٢ — واللاهيات^٣ .

المعنى الحرفي هوربة الأسرة

Matronae

(١)

Virgines

(٢)

Libertinae

(٣)

وكان أوفيد يدعي أن « عذاته » موجهة إلى الفريق الأخير من النساء دون غيره ، بيد أن ما يصبر على أن يسوقه من حجج ليؤيد بها زعمه يشي بغير ما ادّعى .

ويقيناً أن من يرى أوفيد شاعراً يؤمن بأن إشباع الحواس هو الخير الأسمى ، مخطئٌ في نظرته إليه ، فأوفيد يأنف من أن تكون العشيقة بغياً (الكتاب الثاني ٦٨٥ وما بعده) ، ويصرّ على أن تكون امرأة مثقفة^١ أوفتاة عالمة^٢ . ويتجلى من خلال كتابه أن تثقيف العقل من الأهداف التي كانت تصبو إليها السيدات اللاهيات ، يبدلن في سبيلها جهوداً مضنية ، وإن كانت قلة من بينهن يصلن إلى ما يتقن إليه . وآية ذلك أن أوفيد كان يطالب المرأة بأن تحذق الفنون واللغات ، وأن تطالع باليونانية أشعار كاليماخوس وفيليتاس وأناكريون وميناندر وسافو ، هذا إلى الأشعار اللاتينية المعاصرة . ويمضي أوفيد في مطالبه السامية ملزماً المرأة أن تتأنق وتتألق ، وأن تجيد السير والضحك والرقص والغناء والعزف والإلقاء إذ كان هو نفسه يعتز بما عُرف عنه من رهافة الحس ، فلقد بلغ من الذوق السليم الذروة ، لذا لم يكن إرضاءه بالأمر اليسير ، أولعل هذا كان على الأقل مما يهدف إلى إلقائه في روع قارئه . لقد كانت الثقافة بالنسبة لأوفيد هي شعار العصر الذي يحياه . وكان أوفيد إلى ذلك يعد نفسه مجدوداً إذ عاصر تلك الفترة .

(١) Culta

(٢) Docta Puella

ليس بغريب إذن أن يكون أوفيد قد انتزع إعجاب الكثرة من علماء العصور الوسطى وتقديرهم ، لاهتمامهم بالتراث اليوناني واللاتيني ، فكان القديس إزيدور الإشبيلي (٥٧٠ - ٦٣٦ م تقريباً) (صاحب كتاب « مشاهير الرجال » والذي يعد من أهم المراجع في دراسة تاريخ القرون الوسطى) يحذر من مطالعة شعر أوفيد لما فيه من مجون ، ولكنه مع ذلك لم يستطع مقاومة تيار الولع به في عصره ، بل لقد ذكره هونفسه في كتبه أكثر من عشرين مرة مقتبساً من شعره . واتخذ القديس العلامة فولجنتيوس^١ (٤٦٨ - ٥٣٣ م) من كتابي « مسخ الكائنات » و « فن الهوى » أساساً للقصص الرمزية الأخلاقية التي دونها في كتابه « الأساطير » . أما العلماء الذين أحاطوا بالامبراطور شارلماني فكانوا يتدربون على كتابة أشعار لاتينية تحاكي شعر أوفيد . بل لقد أصبح أوفيد لهم مثلاً يحتذى في نظم الشعروفي اختيار موضوعات الشعر نفسها ، وكان نتيجة ذلك أن وجد بعد ما يسمى « بالعصر الأوفيدي »^٢

وكان الشعراء الجوّالون « التروبادور » في جنوب فرنسا و « المينيزجر » في ألمانيا يتغنون في موضوعات يغلب على الظن أنها كانت مقتبسة من موضوعات أوفيد، كما عدّه الطلبة الجوّالة « الجوليارد » الذين نظموا الأناشيد البورانية^٣ الشهيرة أستاذهم وأحب الشعراء إلى نفوسهم .

ولقد أشار فنسان دي بوفيه^٤ (١١٩٠ - ١٢٦٤ تقريباً) إلى أوفيد أكثر مما أشار إلى أي شاعر آخر في تاريخ الأدب كله واقتبس كثيراً من شعره ، غير أنه لم يكن دقيقاً في اقتباسه مما يدل على أنه كان يعتمد على ذاكرته في هذا الاقتباس في موسوعته المشهورة « المرأة الكبرى »^٥ التي ضمت

Fulgentius	(١)
Aetas Ovidiana	(٢)
Carmina Burana	(٣)
Vincent De Beavais	(٤)
Speculum Maius	(٥)

أغلب معارف عصره في أجزاء ثلاثة . كذلك عدّه دانتى نموذجاً للبلاغة والأسلوب الرصين ، وحفظ الشاعر الإنجليزي تشو صر الكثير من « فن الهوى » ومن « مسخ الكائنات » كما ترجم منها أجزاء إلى اللغة الانجليزية الوسطى (أي الانجليزية الشائعة في العصور الوسطى) .

أما أثر أوفيد في نزعة « الحب الرفيع » في شعر العصور الوسطى في أوروبا الذي كان يشبه الهوى العذري لدى العرب فيبدو واضحاً ، كما يبدو أن أصول المغازلة التي كان شعراء العصور الوسطى يوصون بها ، كانت شديدة القرب من تلك الأصول التي ذكرها أوفيد ساخراً منها في كتابه « فن الهوى » . وصحيح أن نساء أوفيد يتتمين إلى نهج من الإباحية في مسلكهن الأخلاقي ، وأن نساء الحب الرفيع يتتمين إلى مجتمع أرستقراطي مغلق يدمغ أي انحراف عن جادة العفة ، إلا أن سبل اغرائهن مع التزام السرية التامة في المغازلة كانت أمراً شائعاً في أوساط شعراء الحب الرفيع ومشابهة لأساليب أوفيد ، الأمر الذي جعل بعض شراح الحب الرفيع في العصور الوسطى يعدّون هذا التقليد في الشعر استمراراً للتقليد الأوفيدي . وكما قال العلامة الإنجليزي ك. س. لويس^١ في كتابه « قصة الحب الرمزية »^٢ « ان شعر العصور الوسطى كان على نهج أوفيد وقد أسيء فهمه^٣ ، إذ أخذوا دعاياته على محمل الجد .

وتفسير ذلك من الوجهة التاريخية في رأي الأستاذ لويس ، يرجع إلى أن نظرة المجتمعات المسيحية في أوروبا بعد سقوط الحضارات الوثنية الرومانية والبربرية الجرمانية ، لم تغير كثيراً من مفهوم الناس للحب ، فكان الزواج لا يزال رهن اعتبارات غير عاطفية تسيطر عليها عوامل المصلحة ، والتحالف بين الأسر ، والتيارات السياسية ، في حين انحصرت عاطفة الحب في نوعين : أولهما ديني تصوفي ينتظم الضراعات للعدراء مريم ، وثانيهما ما سُمي في لغة الشعراء الجرمان في العصور الوسطى « بخدمة السيدة »^٤ أي الخدمة العاطفية العذرية لزوجة السيد الإقطاعي الذي يعد حامياً عسكرياً للمنطقة التي بها قصره ، يعيش الشعراء القاطنون بها في حماه ، وكذلك الشعراء

(١) C. S. Lewis

(٢) The Allegory of Love.

(٣) Ovid Misunderstood

(٤) بالمانية Frauendienst بالفرنسية Amour Courtois بالانجليزية Courtly Love

الجوالون من أمثال التروبادور في بروفانس والتروثير في شمال فرنسا . وهكذا فن الطبيعي أن يتصف هذا الحب اليائس بكل خصائص المبالغة العاطفية التي تميز الحنين إلى المستحيل والبعيد عن متناول اليد ، وإن كان الوصال يقع أحيانا .

ولقد أجمع المؤرخون للقرون الوسطى على أن الحب الرفيع إنما هو نقل السخرية والحزل في « فن الهوى » إلى مجال الجدية .

وفي سنة ١١٦٠ ترجم الشاعر الفرنسي كريتيان دي تروا^١ « فن الهوى » إلى اللغة الفرنسية القديمة ، وإن كان النص قد اندثر الآن ، ولا نشك في أن تلك الترجمة قد أسفرت عن أزمة ضمير في نفوس الشعراء المسيحيين آنذاك . مما دفعهم إلى محاولة تبريرها تبريراً يتفق والجوالمسيحي السائد .

وفي أواخر القرن الثاني عشر دُون الشاعر الفرنسي أندرياس كاپيلانوس^٢ كتاباً باللاتينية اسمه « كتب ثلاثة في الحب »^٣ . وضع فيه بطريقة منهجية كل القواعد والنصائح التي أوردها أوفيد في كتابه ، ولكن بقصد تطبيقها على مواقف الحب الرفيع ، ورغم ذلك فقد ثار الرأي العام المتمزمت ، واعتبر هذا التحوير امتداداً للإباحية التي وردت في « فن الهوى » .

وتتابعت محاولات بعد ذلك لنقل معاني الكتاب بأسلوب غير مباشر إلى قراء القرون الوسطى وبصورة لا تجرح العرف الأخلاقي ، من أهمها الملحمة الشعرية الرمزية المسماة « قصة الوردة »^٤ التي كتبها ولم يتمها جيوم دي لوريس^٥ في النصف الأول من القرن الثالث عشر على شكل حلم يراه الشاعر ، ينشد فيه عشق وردة جميلة في بستان منيع ، تساعد تارة على إدراكها وتمنعه من

وهذا هو الإسم اللاتيني الذي عُرف به أندريه راعي الكنيسة كما كان يسميه معاصروه ولا نعرف له اسماً آخر .	(١)	Chrétien de Troyes
	(٢)	Andreas Capellanus
	(٣)	André La Chaplain
	(٤)	De Amore Libri Tres
	(٥)	Le Roman de la Rose
		Guillaume de Lorris

ذلك تارة أخرى صفات مجردة مجسدة ، مثل القول الرقيق أو الحسد أو التضرع أو العفة أو ما إلى ذلك . وفي أواخر ذلك القرن كتب الشاعر چان دي مون^١ تكملة طويلة لهذه الملحمة ولكن بروح مختلفة هي روح السخرية ومهاجمة النساء وازدراثن .

وتنبع أهمية هذه الملحمة من أنها ترجمة رمزية للمعاني التي وردت في « فن الهوى » بحيث ترضي ذوق قارئ أرسطراطي حساس يجذبه الولع بأوفيد من ناحية ويشده حب التستر وإخفاء الفضائح من ناحية أخرى .

ومع ذلك كله ، فوجعة انتشار كتاب أوفيد لم تنحسر ، فاضطر رجال الكنيسة أن يرتضوا ما جاء فيه بعد أن أولوه ، فكتب أحد القسس كتاباً باللغة الفرنسية القديمة سَمَّاه « أوفيد معالِجاً معالجة أخلاقية »^٢ (١٣٠٠ م) حوّل فيه مواقف « فن الهوى » إلى مواقف دينية أخلاقية ، رمز فيه بالحبيب إلى الفضيلة والتقوى ، وبالمحبّ إلى الناسك المتعبد على غرار شعر التصوف لابن الفارض في الأدب العربي ، و « المثنوى » لجلال الدين الرومي في الأدب الفارسي .

Jean De Meung (١)

Ovide Moralisé (٢)



بهذه العجالة ... أردت أن أبين أهمية كتاب « فن الهوى » في التراث الأدبي العالمي ، وأن أقدم للقارئ محاولة يسيرة لتفسيره من وجهة نظر أراها .

وبعد ... فقد حرصت على تضمين الكتاب لوحات رسمها كبار الفنانين ، متأثرين بما جاء في الأساطير التي يرويها أوفيد في كتابه ويضمنها شعره .

وإني لأستميح قارئ عذراً ، في أني قد سمحت لنفسي أن أضع بين قوسين كلمات شارحة أحياناً ، حتى لا يضطر القارئ إلى الرجوع بين كل سطر وآخر للحواشي في نهاية الكتاب ، التي حرصت على أن أزوده بها معاونة له في التعرف على تفسير الأساطير والأعلام الواردة بالنص .

كما أستميحه عذراً أيضاً فيما جاوزت فيه النص فحوّرت حيناً وقنّعت بعض العبارات بقناع من الحياء حيناً آخر ، ليتفق والدوق العربي . وكان هذا وذلك على قدر ما وسعني الجهد الذي حاولت به ألا أخرج على النص أو أجانبه .

وقد رأيت أن أطرح جزءاً يسيراً من الكتاب الثاني من البيت ٦٨٠ إلى البيت ٦٩٣ ، ومن البيت ٧٠٦ إلى البيت ٧٠٩ ، ومن البيت ٧٢٦ إلى البيت ٧٣٢ وجزءاً آخر من الكتاب الثالث من البيت ٩١ إلى البيت ٩٣ ، ومن البيت ٧٧٤ إلى البيت ٨٠٨ فيها ما يחדش الحياء .

واعتمدت في ترجمتي هذه على الترجمة الانجليزية الحرفية التي أرفقها ج. هـ. موزلي عند تحقيقه لقصائد « فن الهوى » مع مجموعة أخرى من قصائد أوفيد القصيرة في سلسلة مكتبة لوب الكلاسيكية طبعة ١٩٦٢ . وقام الدكتور مجدي وهبه بمقابلة ترجمتي العربية على النص اللاتيني الوارد بالكتاب نفسه ، والذي يعتمد على مخطوطتين إحداهما مخطوطة ترجع إلى القرن التاسع الميلادي بمكتبة بودلي في أوكسفورد، وذلك بالنسبة للكتاب الأول فحسب . أما الثانية الموجودة بباريس فترجع إلى القرن العاشر الميلادي وتمثل الكتب الثلاثة .

ثروت عكاشة

٢٦ أكتوبر ١٩٧١

الكتاب

الأول



أَنْتِ يَا مَنْ غَابَ عَنْكَ فَتُّ الْمَوَى
إِلَيْكَ قَصِيدِي فَاقْرَأْ ،
تُصَيِّفِي فِي الْمَوَى عَبَقْرِيًّا .
فَبِالْحَذَقِ تَشَقُّ السَّفَنُ الْعِبَابَ سَرِيعَةً ،
وَبِهِ تَطْوِي الْمَرْكَبَاتُ الْأَرْضَ طِيًّا .
وَكَذَا الْمَوَى بِالْحَذَقِ يُسَاسُ .

أنت يا من غاب عنك فنُّ الهوى
إليك قصيدي فاقرأ ،
ثمسى في الهوى عبقرياً .
فبالحدق تشقُّ السفنُ العبابَ سريعةً ،
وبه تطوى المركباتُ الأرضَ طيًّا .
وكذا الهوى بالحدق يُساس
حدق أو توميدون قيادة المركبات وملك زمَامَ العِنان ،
وحدق تيفيس توجيه سفينة الأرجو في عُرْض الخِضَم^١ .
أما عني ، فقد اصطففتني فينوس وصيًّا
على الصبي الغضَّ [كيويدي] ربَّ الهوى ،
وَنَصَبْتَنِي أستاذًا لهذا الفن .
وإذا كان تيفيس للسفين ربًّا ،
فأنا ربُّانُ الهوى .
وإذا كان أو توميدون للمركبات قائدا ،
فأنا قائد الهوى .

ما أشق ترويض ذياك الصبي ،
الذي لا يفتأ يناوئي
مع أنه ما زال غرّاً .
وما أندر ما يستسلم لي ، فأقومه
وأوجّبه كيفما أريد .
لَقن القنطور خيرون الطفل [أخيل] بن آياكوس
عزف القيثارة فأجاد ،
وغمّر الفنّ وجدانه الجامح بالسكينة .
ويُروي أن أخيل ،
ذاك البطل الذي بثّ الذعر
في قلب الخصم والصديق ،
كان يهاب معلّمه القنطور العجوز ،
وكان يبسط طواعية لسوط خيرون
كفيه اللتين صرعتا هكتور الجبار .
وكما كان خيرون لأخيل أستاذا ،
فأنا أستاذ ربّ الهوى .
وكلاهما - أخيل وربّ الهوى - صبي شديد المراس .
ولا غرو فكلّ منهما ابن إلهة .
وكما يطأطيّ الثور عنقه تحت وطأة النير
وكما يلقمُ الجواد الأبيّ العنانَ
يلوكة في فمه على مضض ،
كذا ، سارّوض ربّ الهوى ،
وإن أصاب صدري بسهام قوسه ،
أولوح بشعث - يهددا من فوق رأسي .
فأنا قدير على الثأر الجرحي .
مهما أثختني الطعنات .



أخيل والفتطورخيرون : تصوير جداري من پوميى بإذن من المتحف القومي بـناپولي

وما أنا بزاعم^١
أن فتّي هذا هبةٌ منك يا فوييوس [أبوللو] ،
وأن مناغاة الطير في جوالسما^٢
هي التي أوحّت إليّ به ،
وما تجلّت لي كليو وأخواتها [ربّات الفن]
حين كنت أرعى أغنامي في واديك يا أسكرا^٣
تَجَرَّبَتِي مصدرُ إلهامي ،
فأنصتوا لشاعر عركته الحياة ،
ينبض بالصدق نشيدهُ .
ناشدتك يا فينوس ،
يا أمَّ ربِّ الهوى
العونَ على ما أنا مُقدِّمٌ عليه .
وأنتِ أيتها الحرائر المحصَّنا^٤
ذوات العِصَابَةِ الدَّقِيقَةِ والتَّنُورَةِ المرسلَةِ
التي تُلَفُّ ثناياها القَدمين^٥ ،
أُعزِّبُن عني ،
فسأغني للهوى المأمون ،
سأغني للهوى المستور
لا حَرَجَ عليه
ولهذا لن تَجِدَنَّ في شعري ما يُستهجن .

* * * *



ديلاكروا : القنطورخيرون يعلم أخيل تصويب السهام .
مجموعة خاصة

أي مريدي ،
يا من تفقد إلينا لأول مرة ،
لتخوض حرباً جديدة تجهلها .
عليك أن تحدّد هدفاً لهواك .
وعليك أن تظفّر بالفتاة التي تستهوي قوادك .
ثم عليك أن ترخي في عمر الحب طويلاً .
ذي شرّعتي ،
وذا ميداني لا تعدو مركبتي حدوده ،
وذا مرماي تنساق إليه عجلتي المنطلقة .

٤٠

* * * *

ما دام العنان لا يزال في يدك رخيّاً ،
وما دمت لا تزال تجولُ بلا قيد ،
تختار من تقول لها عن رضي :
« أنتِ وحْدِك من تُشبع نهمي »
فلا ترقب أن تهبط عليك فجأة من خلل النسمات ،
بل طُف بعينيك حيث تقعان على كاعب تشبع أمانيك
فالصياد الماهر يعرف أين كِنّاسُ الوعل ،
وفي أي الوديان ينصب شراكه ليظفر بالخنزير البري ،
فهو خبير بالغيضات والأجمات .
وان من يحيا مع السمك ، ويعرف أسرار الجدول ،
هو من يحذق استخدام الشّص .



چولیورومانو : رقصة أبوللومع ربات الفن . یادَن من متحف پیتي بفلورنسا

وَأنت يا من تهفو إلى نشوة عارمة موصولة لا تحبو ،
أدرس أين تطوَّفُ باقات الفتيات ، وأي مكان يرتدن .
فلتهداً بالاً .

لن أكلفك - بينا تسعى - شططا .
لن أدعوك لتنشر شراعك ضد الريح ،
ولن أشق عليك برحلة طويلة وعرة
كي تبلغ مُناك .

فليتحمل بيرسيوس من العنت ما شاء
 ليعود بأندروميدا سمراء الهند ،
 وكذا فليخطف باريس الطروادي العاشق
 محبوبته [هيلينا] من بين الإغريق ،
 فروما عامرة بجمال الغيد ،
 حتى قيل بأن « كل جمال الدنيا ينبض في روما . »
 أنبتت عن كثافة غلال جارجارا^٥ ،
 وفنض عناقيد ميثمنا^٦ ؟
 أو تعرف غزارة السمك في البحار ،
 والطيور فوق أفنان الأشجار ،
 ونجوم السماء التي لا تُحصى ؟
 هكذا تزخر روما - مدينتك - بالغانيات الحسنات .
 ليسكن روعك
 فما زالت فينوس تنزل مدينة ابنها أيناس^٧ .
 أتأسرك السن المبكرة الآخذة في الاكتمال ؟
 إذن فإليك عذراء لحما ودما .
 أم يجذبك الجمال الناضج في أوج تفتحه ؟
 إليك منهن لمُتعتك ألفا .
 حاول ما شئت أن تؤثر إحداهن على الأخرى ،
 ولسوف يذهب جهلك سدى .
 أو تُراك تؤثر من هي أكبر سنا
 وأرجح عقلا ورزاة ؟
 صدّقي : إن صفوفهن لا يبلغها الحصر .

* * * * *



تتسيانو : پرسپوس ینقلد آندرومیدا . یاذن من مجموعه والاس

فلتتهاد هونا

تحت رواق پومپيوس^٨ ، تغمر ك ظلاله ،
حين تطل الشمس من برج أسد هرقل الأشعث
تُلهب وجه الأرض .

أوتحت ذلك الرواق الذي شيدته الأم صرحاً^٩

يحتضن خيراتها وخيرات ابنها ،

ويُزهي بكسوته الرخامية .

ولا تنس أروقة ليثيا^{١٠} بنقوشها العريقة ، تحمل اسم من شيدتها .

ولا تغض الطرف عن ذاك المكان

الذي جرؤت فيه بنات بيلوس على اغتيال أبناء عمومتهن ،

أوذاك الركن الذي تربص فيه أبوهن [داناوس] الجبار . ،

وسيفه في كفه مُشرع^{١١} .

وعش أعياد أدونيس^{١٢} الذي أنفقت فينوس حياتها تبكيه .

واسع في تلك المدينة

التي يمجّد فيها يهود سوريا^{١٣} سبتهم المقدس .

وأشهد المعبد الممفيسي للبقرة المزدانة بالثياب الكتّانية .

فكم من فتاة توحى إليها البقرة ،

بأن تأتي ما أتته هي مع جوييتير من قبل^{١٤} .

واعجبي ، حتى حُرّمات العدالة كانت مسارح للهوى !

فما أكثر ما أضرم الهوى شعلته في قاعاتها الغاصة الصاخبة .

٨٠

وفي كنف معبد فينوس المرمري ،

حيث يتناثر رذاذ مياه الحورية الآية^{١٥} ،

ما أكثر ما ينصب كيوييد شراكه للمحامي اللوذعي .

وهكذا يُمسي المكلف برعاية غيره ، عاجزاً عن رعاية نفسه .

هناك يكتشف الخطيب المقوّه قصور بلاغته ،

ويضحى مطالباً بالدفاع في قضية جديدة

هي قضيته هو ،
بيننا فينوس من معبدها القريب
تسخر ممن كان منذ قليل محاميا ،
فإذا هو قد بات طرفا في الدعوى .

* * * *

أي مريدي
أوصيك بالمسارح تمارسُ فيها القنص ،
فما أسخاها استجابة لرغباتك .
هناك ستجدُ ضالتك عِشْقا وَغَزَلا :
ما تتذوقه مرة ،
أوما تقتنيه دهرا إن شئت .
هل رأيت صفوف النمل غادية رائحة
تحمل الحبوب إلى مساكنها ؟
هل تابعت أسراب النحل ترفرف فوق الأزهار
وحول شجيرات الزعر ،
خلال الخمائل التي تؤثرها
في أطيب الوديان شذى ؟
هكذا تخطر أسراب الحسناوات إلى حَلْبة الألعاب الحافلة .
ووسط تلك الحشود كثيرا ما طاش حكمي في اختيار إحداهن ،
بمضين جماعات يتطلعن إلى الرجال ،
وبتشوفن أن يتطلع الرجال إليهن .

١٠٠



أحد تلامذة فرانچيليكو :
پاریس یختطف هیلینا .
یاذن من الناشونال جالیری بلندن



حذار أيتها العفة أن تقتربي ،
 في هذه الساحة مَصْرَعُكَ .
 كنت يا رومولوس أول من نشر الفوضى في هذا الموقع ،
 عندما أمست نساء قبيلة « ساين » المخطوفات^{١٦}
 سلوى لرجالك الأعزاب .

حينذاك ، كان المسرح المرمي ما زال عاريا من الخيام الثمينة ،
 ولم تكن منصة المسرح قد زُينت بعدُ بالزعفران الذهبي المتثور ،
 بل كانت أكاليل أوراق أشجار الپالاتينوس تُنثر عَفْوا ،
 وظلت المنصة عارية من كل زينة .

في تلك الأيام كان القوم يجلسون على درجات معشوشبة ،
 وحين تساقط أوراق شجرة واحدة

تكفي لتغمر شعورهم الشعثاء .
 ويتلفت كل منهم يَمَنَّةً وَيَسْرَةً ،
 يحتضن بعينه امرأة يتشهاها ،
 يتأملها في حنايا قلبه .

وفي ذلك اليوم المشهود

[يوم اختطف الرومان السابينات] ،

هبّ الراقص يضرب أرض المسرح بقدميه مرات ثلاثا ،
 وبدأ عازف الناي يرسل أنغامه الساذجة .
 دَوَى التصفيق ، خشنا فظا .

وأوما الملك لأتباعه المتلهفين إيماءة البدء
 لخطف [بنات قبيلة « ساين »] .

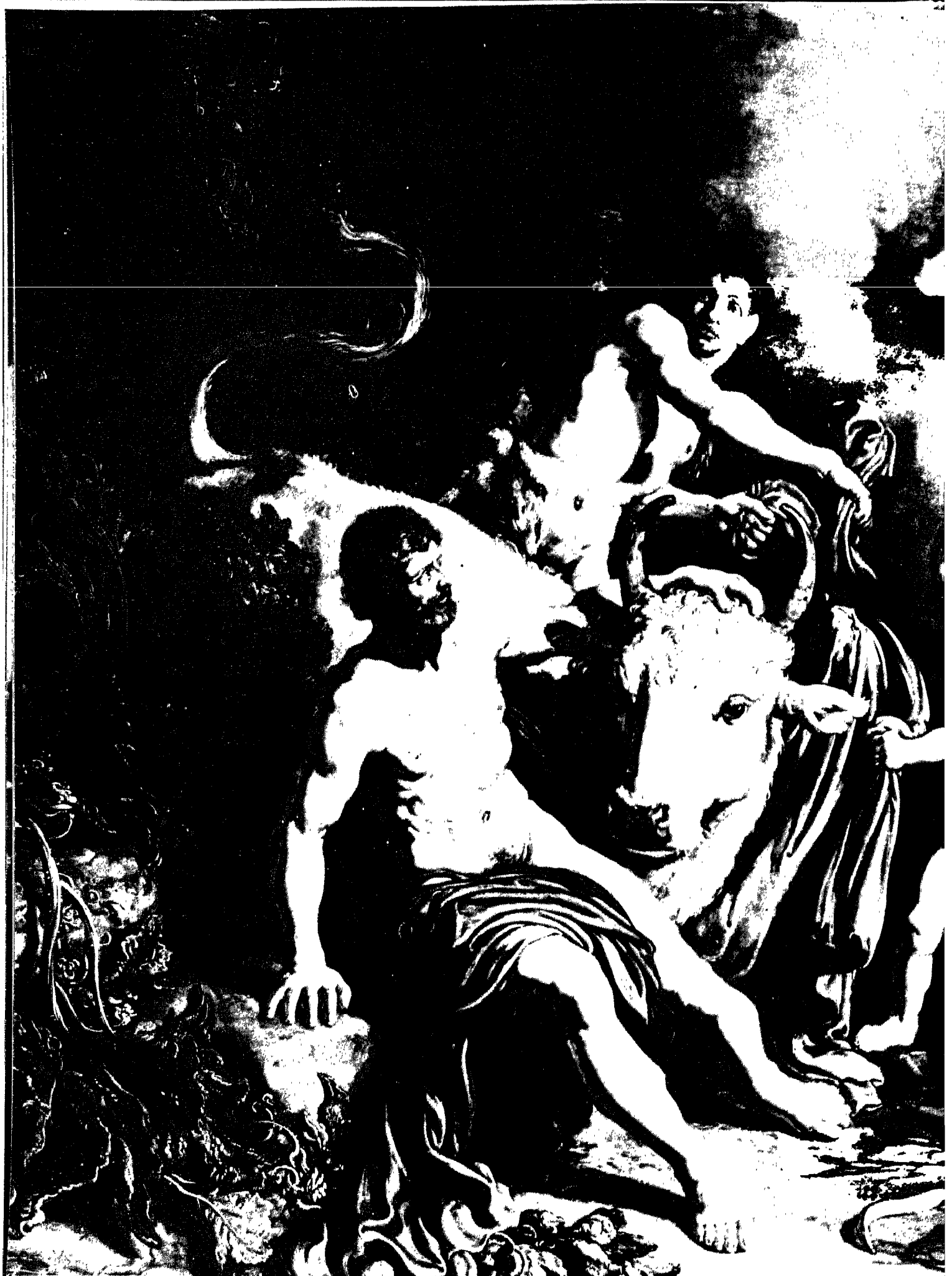
فما أسرع ما وثبوا مثل وحوش كاسرة ،
 يتحشرج في حناجرهم الشبق العارم ،
 وأياديهم لهفة نهمة ،

تهوى على مفاتن أجساد العذراوات :

كُنَّ يَمَامَاتٍ مَذْعُورَاتٍ يَنْشُدْنَ الْإِفْلَاتِ ،
 مِنْ بَيْنِ مَخَالِبِ صَقُورِ جَارِحَةٍ .
 أَوْ حِمْلَانَ رُضَّعٍ يَلْمَحْنَ الذَّنْبَ الْمَقْتَرَسَ الْجَائِعَ ،
 فِرْعَاتٍ يَهْرُولْنَ هَرَبًا بِفِرَائِصٍ مَرْتَعِدَةٍ ،
 وَفِي أَعْقَابِهِنَّ الْبَرَابِرَةَ الْمُخْتَطِفُونَ .
 وَمَنْ فَرَطَ الْخَوْفَ شَحْبِنَ ، وَغَاضَ لَوْنَ الْبَشَرَةِ .
 ١٢٠ تَوَلَّاهُنَّ جَمِيعًا خَوْفٌ وَاحِدٌ ،
 وَإِنْ اخْتَلَفَ مَسْلَكَ كُلِّ مَنْهِنٍ مَعَ الرَّعْبِ :
 فَالْبَعْضُ يَمْزِقُنْ جَدَائِلَهُنَّ ،
 وَالْبَعْضُ عَلَى الْأَرْضِ ذَهَلَاتٍ لَا يَتَحَرَّكُنْ ،
 وَاحِدَةٌ تَنْتَحِبُ فِي صِمْتٍ ،
 وَثَانِيَةٌ تَصْرُخُ عِبْثًا « يَا أُمَاهُ » ،
 وَثَالِثَةٌ تَحْبِسُ دَمْعَتَهَا وَتَنْهِنُهُ ،
 وَفَتَاةٌ مَأْخُودَةٌ ،
 وَرَفِيقَةٌ وَلَّتْ وَهِيَ تَفَرُّ .
 وَالْمَوْكَبُ يَمْضِي بِعَرَائِيسِهِ الْأَسِيرَاتِ ،
 يَزِدُّنَ جَمَالًا رَغْمَ الذَّعْرِ .
 وَحِينَ تَحَاوُلُ إِحْدَاهُنَّ أَنْ تَتَأَيَّى عَلَى آسَرِهَا
 يَحْتَوِيهَا وَلَهَانٌ فِي صَدْرِهِ ،
 يَرْفَعُهَا بِذِرَاعِيهِ إِلَى أَعْلَى وَيَقُولُ :
 « لِمَ تَطْمَسِينَ سَحَرَ عَيْنِكَ بِالْدَّمْعِ ،
 فَأَنَا وَأَنْتَ لَنْ نَزِيدَ بِمَا سَنَفْعَلُهُ
 عَمَّا فَعَلَهُ أَبُوكَ بِأَمْلِكِ » .
 أَيُّ رُومُولُوسَ
 لَكَ تَهْنِئَتِي ،
 كُنْتَ فَرِيدًا تَعْلَمُ وَحْدَكَ كَيْفَ تَسُوقُ الْأَسْلَابَ ،



لاستمان :
چونو تضبط
چوپتر مع ابو.
باذن من الناشونال
جاليري بلندن



يستملحها كل محارب .
 ومن أجل الأسلاب ،
 أحبت أنا أيضا أن أنخرط في سلك الجندية .
 وانتقل التقليد إلينا ،
 وغدت مسارحنا محفوفة بالمخاطر للجماليات .
 فلا تفوتك الحلبة حيث الجياد العريقة تتبارى ،
 فلتجدن فيها مكننا وسط الزحام ،
 تتطلع منه إلى النسوة الفاتنات .
 ولا حاجة بك إلى إيماءة رأس ، أو إشارة كف ،
 فأنت في غنى عن التلميح والمكاتيب .
 قرأ إلى جوارفاتك ، فلا حرج عليك .
 واقترب لصقها قدر طاقتك ،
 واشكر زحمة الجالسين فوق الدرجات ،
 لأنها تقهر الفتاة على الاستسلام للنهصر .

١٤٠

وهنا انشد موضوعاً تتسلى به معها
 في حوار رقيق .
 وابدأ بما هو محط الاهتمام .
 سلكها في شغف مفرط:
 « سيدتي ، أي رهط من الجياد نشهد » ؟
 ومهما كان ردّها ، بادر باستحسان قولها ،
 وحذار حذار
 أن تنسى التصفيق بحماس لتمثال فينوس صاحبة الجلالة .
 لحظة يُشرق في الموكب^{١٧}
 محمولاً فوق أعناق المتبارين .
 وحين تلمح ذرة تراب تهبط على ثوبها فوق الفخذ ،

فبأناملك ادفعتها رفقاً .
وإن لم تهبط تلك الذرة ،
فتوهم واحدة هبطت وادفعها أيضاً .
فالمراد ، أن تنتهز ذريعة ، تثب بها عليها
كي تُظهر ، كم شدتك هي إليها .
وإذا الثوب على الأرض تدلىّ ومسّه القذى ،
بيديك الحاذقتين ثبّ وارفعه .
وإن لم تلمح منها سخطا ،
حملق في كاحلها واغتم الفرصة
جزاء ما أسديت ،
هذا حقك غير منازع .
وافطن للجالس خلفك مهما كان ،
قد يلمس منكبها الناعم بساقيه غزلاً .
فكم من لفتات هيّنة تُغري العقول النزقة !
تُجديك كثيراً ، يدك الأريية
حين تسوي وصادتها ،
أوحين تميل بمروحة تدفع عنها لفح القبيظ ،
أو أن تُرسي لقدميها متكاً .

١٦٠

* * * *



روبنز : اختطاف السابينات .
بإذن من الناشونال جاليري بلندن



هذي حيل من غزل العصر ، يبسطها سخياً جو الملعب .
و « الفورم »^{١٨} أيضا يمنحك الفرصة كاملة ،
رغم رمال الأرض المبتلة حُرنا ، سُخْطاً
حيث تراق دماءً لتسري عن الجمع .
ما أكثر ما يقتحم كيوييد الساحة ،
يُطلق سهمها يردي أحد النظارة ،
يصبح في لحظة ، هدفاً لسهام كيوييد
تصرعه وهويتحسس كفّ فتاته ويثرثر معها ،
يسألها عن البرنامج ، وعن أي فريق فاز؟
بينما هو لم يدفع ما راهن به إلا من لحظة ،
وإذا السهم يعاجله ،
فيرسل أنات إثر الطعنة ،
وينقلب لساعته فصلاً بين فصول العرض .

* * * *

من عهد غير بعيد
حين قدّم القيصّر عَرْضاً يمثل معركة [سالاميس] البحرية
بين الفرس واليونان ،
وفدت جموع الفتية والفتيات
من مشارق الأرض ومغاربها ،
وكان الخلق جميعاً قد حُشروا حُشراً في روما .
واعجبا
أيفتقر امرؤ في مثل هذا الجمع الغفير إلى خليل !

كم من لمسة حب غزت قلوب نفر من أهل روما
بسهام العاشقين الغرباء !

*** *** ***

قيصري تأهب كي يطوي تحت لوائه
ما بقى من العالم خارج سطوته .
وأنت أيها المشرق النائي ،
لسوف تجثو « اليوم » تحت أقدامنا .
أبشريا كراسوس أنت وولدك في لحدكما
لتدفعنَّ الجزية أيها البارقي .
وأنت أيتها البيارق التي دنسها البرابرة ،
آن لك أن تُنضي عنك الخزي ،
وترفر في من جديد ^{١٩} .
فلا تأخذ بالثأر لنا يتأهب ،
وهو فتى غض الإهاب ^{٢٠}
يدخل حرباً لا يضطلع بها الفتيان ،
غير أنه قائد لا يُباري .
ما خطبكم أيها الجبناء ،
تسغلون أنفسكم بإحصاء أعياد ميلاد آلهتكم ؟
إن إقدام القياصرة ثمرة مبكرة .
هل فاتكم أن قدرة الأرباب تنمو بخطى تسبق سني أعمارها ،
فلا تبالي في انطلاقها بالعقبات المعرقة .
فهرقل رضيعاً سني بكفيه الثعبانين ،

١٨٠

وبات جديراً بأن يعزي لأبيه چوپتر .
وأنت يا باكخوس ، كنتَ ما زلت صبيّاً
عندما أُرهب صولجانك الهند ، فغزوتها .
أي قيصر ، [يا رمز] الفتوة
امض ، في رعاية جدّك ،
وبوحي من بسالته .
ففي رعاية جدّك وبوحي من بسالته
سوف يكلّل النصرُ جبينك .
وما دام لك هذا الاسم الجليل ،
فالنصر حليفك .
أنت اليوم أمير الشباب^{٢١} ،
وغدا أمير الشيوخ .
واذكر أخوة لك^{٢٢} سامهم العدو سوءاً ،
وذُد عن حقوق جدّك ،
بعد أن اغتصب العدو رُكناً من عرشه ،
مستهيناً بخالد مشيئته ،
لقد قلّدك جدّك السلاح ،
وسلاحك مشروع ،
فالحق والواجب تحت لوائك ،
بيننا سلاحُ خصمك السهامُ الغادرة .
قضية البارث خاسرة لا يساندها حقُ
فلتذقهم ويل الهزيمة في الحرب .
أي مارس [إله الحرب] .
أي قيصر [إلهنا]
ناشدُكما أن تسبغا عليه البركة ،
وهو ينفّر إلى القتال ،

٢٠٠

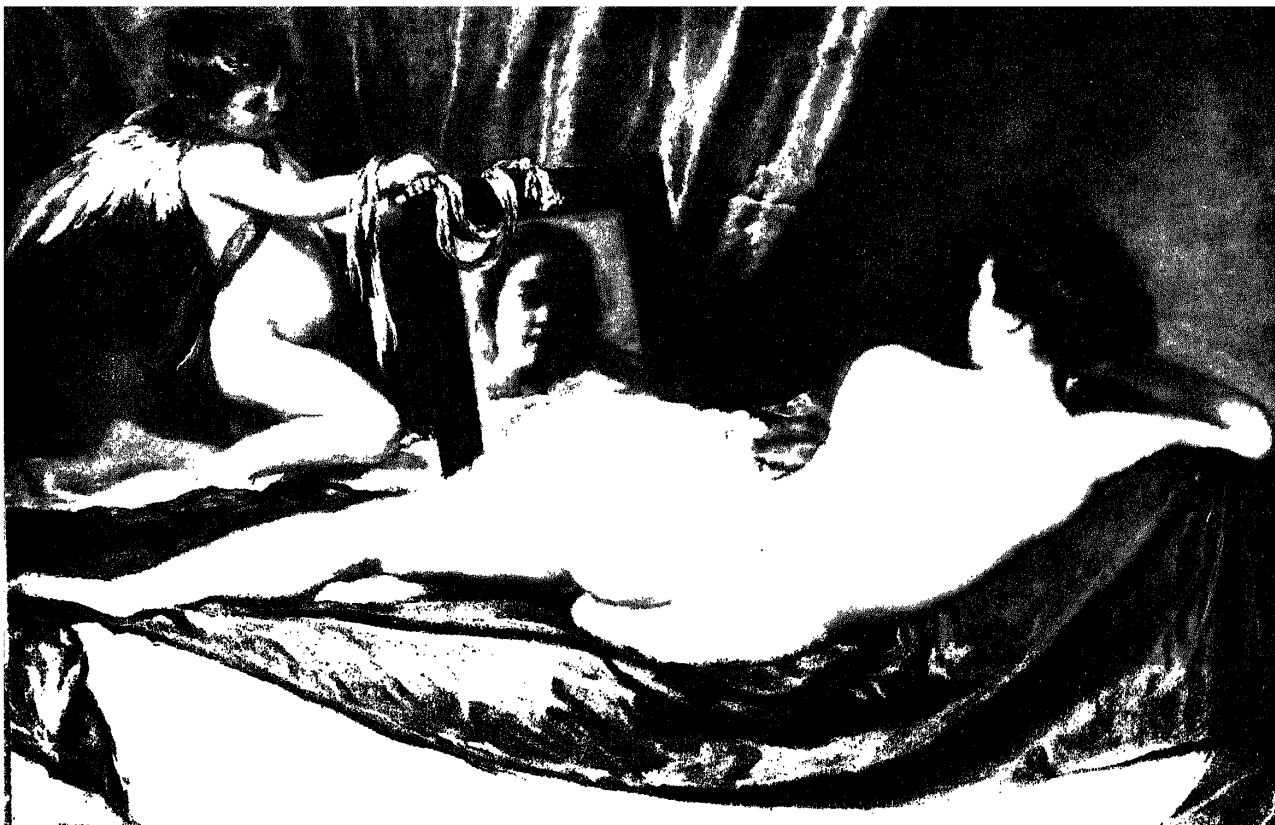
كي يضيف كنز الشرق إلى مُلك لآتيوم .
أحدكما إله ،
والثاني صاعدٌ إلى الألوهية .
هاكم نبوءةً فاشهدوا :
النصرُ نصيبك ،
ونصيبي ... شدوي أغنية النصر ،
ودَيْنُكَ عندي أن الهج جَهْرًا بشنائك .
كالطود الراسخ تمضي تردد كلماتي ،
تُذكي بها حماس الجند .
ناشدتك ، ألا تقصُر همّتكَ عن مقالي .
أي قيصر .
عا هدتك أن أُشيد بإقدام الرومان ،
وأندَدَ بفرار البارتي ،
وبسهامهم تُفْلَتُ منهم دُعرا
من فوق صهوات جيادهم المتقهقرة .
أيها البارتي
إذا كان الفرار هو سبيلك الوحيد للنصر ،
فماذا تُراك للهزيمة أبقيت ؟
إن حربك أيها البارتي تحمل الشؤم إليك .
أنت يا قيصر ،
لينبلجنّ الفجرُ لك .
ولأنت أوسم الخَلْق ، تتألق كالذهب
تصدّر مركبتك ،
تجرّها جيادٌ أربعة ناصعة البياض كالجليد ،
بيننا يُساقُ إليك ساداتهم مكبلين بالأغلال ،
وقد قطعت عليهم سبيل النجاة ،

فلم يفروا كما هودأ بهم .
 ليفدنّ الشباب المرح فتية وفتيات ،
 تخفق قلوبهم وهم يستشرفون موكب النصر .
 فإن سألتك عذراء من بينهن عن أسماء الملوك ،
 ٢٢٠ أوموز الأقاليم والجبال والأنهار المحمولة على الأكتاف ،
 بادروا سهب في الوصف ،
 ولا تقصر إجابتك على ما تُسأل عنه .
 وحتى لو جهّلت ما تجيب عليه
 فلا تتردد ،
 وادّع معرفة الإجابة الحقة .
 لا تتردد وأطلق للسانك العنان ،
 وعرج على ما لم تُسأل عنه .
 وإذا كنت بالإجابة جهّولا فلا تتهيب ،
 وبادر بالتلفيق ، وكأنك بكل أمر عليم .
 « أنظري
 هذا التمثال الذي اكتنفت جبهته القصبات هو الفرات ،
 وذلك الذي تسدل خصلاته الزرقاء الداكنة هو دجلة » .
 ولا تريب عليك يا صاح
 إن قلت عن قوم إنهم الأرمن
 « وإليك بلاد فارس التي شادها پرسيس
 حفيد [چوپتر] وداناي^{٢٣} ،
 وتلك مدينة في الوديان الأخمينية » .
 على هذا النهج سر .
 من تبيّنته من بينهم فسمّه ،
 ومن جهّلته فاخلع عليه اسماً يناسبه .

وما أكثر ما تتيح الولاثم من فرص .
 لتجدن فيها إلى جوار النبيذ نشوة أخرى .
 وربّ الهوى المتألق البشرة ،
 بذراعه الناعمتين يحوط قرني باكخوس معانقا
 ثملاً يستلقي في المأدبة .
 وعندما يغمر النبيذ أجنحة كيوييد العطشى ،
 يُدعن أسيراً وينوء بحمله عاجزاً لا يبرح ،
 وسرعان ما ينفض جناحيه ينضو عنهما الليل .
 وحتى تلك القطرات حين تتطاير وتلمس الصدور
 تنفذ إلى القلب
 [كأنها سهام كيوييد ٢٤٠]
 النبيذ يهّب الشجاعة ،
 ويدفع الرجال في تيار العاطفة المشبوبة .
 الهمُّ يولي غريقاً في بحر من خمر ،
 ويطل الضحك
 حتى المعدم منا ، تُشرق روحه ،
 ينبض فرحاً
 قد فارقه الهمُّ وانحسر الحزنُ وانبسط جبينه .
 فإله الخمر يجلو ما يخبي معاقرها ،
 ليبدو الثمل صريحاً
 صراحة ما أندرها في هذا العصر .
 لحظتها تستلب الأنثى لبّ الذكر ،
 ففينوس في كأس الخمر نار في نار .
 لا تغرربك تلك اللحظة
 في ضوء المصباح الخادع
 فالليل والخمر يزيفان حكم العين على الجمال .

٢٤٠

في أوج الظهيرة قضى باريس لفينوس
بالتفاحة الذهبية جائزة الجمال
[وحجبها عن چونووميزثا] ،
قائلاً : « أنت الأجمل » .
احذر فالليل يستر العيوب ،
والظلمة قد تُضفي على الشمطاء جمالا .
وكما تحتكم إلى ضوء النهار حين تنتقي الجواهر ،
أوتختار الصوف الأرجواني ،
لُذَّ به بالمثل حكما ،
لتجتلي سمات الوجه واستدارة الجسد .



فيلانكويز : فينوس في المرأة . بإذن من الناشونال جاليري بلندن



روبنز : تحكيم باريس بين
فينوس وچونو وميرفا .
ياذن من
الناشونال جاليري بلندن



ما أغناني عن أن أُحصي لك متديات الصيد ،
وهي كالرمال لا يحصيها عدٌ .

ماذا أحكى عن بايبي^{٢٥} وعن ساحلها ،
وعن الينابيع التي تطلق أبخرة الكبريت الدافئ .
هل بلغك نبأ التعس العائد من عند النبع ،
يحمل جراحا في قلبه ويصرخ :

« واقلباه

يا لخيبة أمني ، تلك مياه لا تشفي كما زعموا » ؟
أنظر ،

على مرمى البصر من روما أجمة تضم معبد ديانا^{٢٦} ،
فيه يُنصب الكاهن ملكا للمعبد ،
بعد أن يقتل من سلفه .

٢٦٠

[عجا لكهنة أيديهم مخضبة بالدم] .

ديانا العذراء تؤثر العذرية ،

وتنفر من كيوييد وسهمه .

كم من حورية تعصبت لمذهبها ،

وا أسفاه لقلوب نبضت بالحب هنّ

وبتعصبت حطمتها ، وستحطمها .





خطت ثاليا ربة الفن
- مُنْطَلَقَةً عَلَى عَجَلَتَيْنِ تَكْبُرُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى -^{٣٧}

خريطة للحب ما زالت حتى اليوم
تكشف لك عن كل مكان
تنشر فيه شباكك .

يا قوم ،
أيا كنتم وأنى تكونون ،
أعبروني سمعاً يطرب .
أصغوا لي بعقول تستوعب ،
فساتلو قصيدي .

لأجودنٌ بحذقي كله ،
ولأكشفنٌ حيلة لا تُفْلِتُ منها من استهوت قلبك .
بادي ذي بدء ، طيبوا نفسا ،
فالمرأة في كل مكان صيدٌ سهل .
انصب شركك ... وكفى .

تغريد الطير في الربيع قد يسكن ،
وصرير الجُنْدَب في الصيف قد ينقطع ،
وكلاب الصيد قد تهرب من وجه الأرنب ،
لكن المرأة لا تصمد

إذا انساب في أذنيها معسول الغزل .
حتى تلك المرأة التي تخالها تتمتع ،
يمكن أن ترضخ .

وكما أن الحب المختلس للرجل لذة ،
فهو كذلك للمرأة لذة .

الرجل ضعيفٌ يغالب ،
كي يُخْفِي مشاعره



فرنسكو ماترولا :

كيوبيد يعد قوسه

ويشدد سهمه .

ياذن من متحف

تاريخ الفن بفيينا

والمرأة أقوى في إخفاء رغبتها .
آه ، لو أمكننا أن نتماسك ،
وأن نكبح أنفسنا ،
وإلاّ نبدأ بالإقدام ،
وإلاّ نسعى إلى المرأة نتوسّل ،
إذن ، لا نقلب الحال وتوسّلت المرأة .
لو أنّنا نتأمل دروس الكون
لسمعنا في المرج الناعم
خوار البقرة
يدعو الثور ،

٢٨٠ وصهيل الفرس تنادي الجواد ذا الحوافر الصلدة .

الرغبة فينا سواء ،
والشعلة فينا مهما اتقدت
لا تعدو غايتها المشروعة .
وهي إن قيسّت بسُعار المرأة ،
شيء لا يؤبه له .
وما أنا بحاجة أن أحدثكم
عن « بيبليس »
التي التهمت مشاعرها بعشق محرّم :
عشقها لأخيها^{٢٨} .
ثم كفّرت عن ذنبها هذا ،
فشنقت نفسها غير هيّابة .
وعن « مورها » التي تولّمت بأبيها ،
لا ذاك الولد المعهود
من بنت لأبيها ،
بل كان غراما عارما لهفا ،

ففسختها الآلهة شجرة
حملت اسم [المر] ،
وما زلنا نتضمخ بدمعتها
ذات الشذى العطر .
وفي الوديان الظليلة من غابات إيدا ،
بدا ثور أبيض بياض اللبن ،
كان فخر القطيع
لم تشب بياضه
سوى حلقة بين قرنيه .
وكم تمت بقرات جنوسيا وسيدونيا^{٢٩}
أن يعلوها .
واني لأستمحكم العذرحين أروي لكم هذا الخبر الذائع .
هل تذكرون كم تآقت شغفا پاسيفاي [الملكة]
إلى أن تصبح يوما للثور خدينة ؟
وكم حققت على البقرات الوسيمة ،
تتفرسهن حاقدة واجدة ؟
وما بوسع كريت التي تضم مائة مدينة ،
أن تنكر ما كان ، إمعانا منها في النكران .
فلقد قيل إن پاسيفاي كانت تجمع بيديها المرهفتين
الأعشاب الغضة من أنحاء المرج ،
تعلف بها آسر قلبها ،
وما ثناها عن أن تنخرط في القطيع
ما كان لزوجها من مكانة .
وهكذا فاز ثور على مينوس المليك .
لم تعد ثياب المملك الأرجوانية
ذات جدوى لك يا پاسيفاي .

٣٠٠



جوستاف مورو : پاسيفاي والثور .

أنتجملين بها وحييُك ثورُ ،
ولا يُلقِي بالاً لأية زينة ؟
وما غناء المرأة عندك ،
وأنت آبهةُ بين القطعان على سفوح الجبال ؟
أتحالين أيتها العاشقة الطائشة
أن جمال جدائك المصفورة تلفت إليك معشوقك ،
هلا ردَّتكَ إلى وعيك مرآتك !
وهل تراءيت فيها غير واحدة من البشر لا البقر ؟
لكم تمنيت أيتها الملكة
أن ينبت لك قرنان فوق جبينك !
أي پاسيفاي ،
كيف تبغين الزنا وأنت المعجبة بزوجك مينوس ؟
وإذا كان لا معدي لك عن أن تفجُري ،



فلتختاري لك فاجرا من البشر .
وما تلبث الملكة أن تهجر قصرها إلى الغابات والوديان .

وكأنها على موعد إلى حفل صاحب
قد أعده الإله باكخوس .
تحملق في كل بقرة تقع عليها عيناها ،
وهي تردد « تَبَّأً لَكَ
حين تستمتعين دوني بعشيتي ومالك لبي .
ها هي ذي تلك اللعوب تتأود تحت بصره
على العُشب الناعم عساها تخلب لبه » .
هذا ما كان من أمر الملكة ،
وإذا هي ظلما وجورا تأمر
فُتساق البقرة تلوا البقرة

إلى الحقل سَوْفاً تحت ثقل النَّير لتجّر المحراث .
أو إلى المذبح قهراً لتنحر قربانا
خداعاً منها ورياء .

وما أكثر ما فتكت بغريمتها باسم الآلهة ،
تنشد زيفاً أن تَشْفِي غُلَّتْهَا .

٣٢٠

تميل على قلب غريمتها المذبوحة
تعنصره بيديها بهجة ،
وتتمم في حقد :

« أريني الآن كيف تستهوينه » .
وكانت تارة تحسد أوروبا [أميرة فينيقيا]
أن ضاجعها جوبيتر في هيئة ثور ،
وأخرى تتمنى لو مُسخت بقرة
شأن إيو عندما واقعها ربُّ الأرباب .
وماذا تتمنى الفاجرة !
والثور الفاتن قد جامعها
وأودعها نطفته ،

بعد أن خدعته متقمصة هيئة بقرة من خشب ،
ونسلت منه دنساً فلوثت بذلك سلاتها .
لو أن إيروي الكريتيه لم تدعن لغواية ثيستيس
لأنطلق فوييوس إله الشمس في دورته ٣٠ ،
لم يكبح خيل مركبته ،

ولم يرتد سريعاً صوب الفجر .
(ما أنفسه عطاءً تحظى به سيده ،
حين تطيق أن تقصّر مشاعرها على رجل وحده) .
[« سكيللا » المجنونة بالحب]^{٣١}



لوكليرك ده جوبلان : اختطاف أوروبا .
پاذن من متحف دنكرک

غفا أبوها نيسوس ،
 فاستلبت منه سرقواه خصلة شعره الذهبية ،
 منحتها عربون الحب للخصم المعشوق ،
 فجازتها الآلهة
 بزمرة من كلاب مسعورة تحيط بنحصرها .
 [وكلّيتمنسترا] المشثومة ،
 ما إن عاد زوجها أجامنون سالماً
 من الحروب التي يشنّها « مارس » برّاً ،
 والعواصف التي يثيرها « نبتون » بحرّاً ،
 حتى سقط صريع غدرها .
 « وميديا » الساحرة ،
 [ما كاد زوجها ثيسوس يهجرها]
 إلى « كريوسا »^{٣٢} الكورنثية
 حتى غلا جوفها وأوغر صدرها ،
 [فأهدت كريوسا ثوب زفاف مسموما]
 أضرم فيها النار لساعتها ،
 ومن ذا الذي لم يذرف على كريوسا دمعاً !
 لكن غليل ميديا لم يُشف ،
 فانقضّت على فلذات كبدها [من ثيسوس]
 ونخضبت بدمائهم كقّيتها .

« وهيوداميا » زوجة أمينتور الموتورة ،
 استعدّت ولدها فينيكس^{٣٣}
 ليُغوي عشيقه والده ،
 وصبّ أبوه عليه اللعنة ،
 فلذرف دموعاً من مُقلٍ غاض نورها .

وأنت أيتها الجياد المذعورة ،
ألم تمزقي هيبوليتوس إرباً إرباً؟^{٣٤٩}
وأنت يا فينيوس
لماذا سمّلتَ عيون أبنائك الأبرياء ؟
لقد حقّ العقاب عليك^{٣٥٠} .

٣٤٠

* * * * *

هذي كلها جرائم بشعة ،
ارتكبتها نسيوة أعماهن العشق .
ولا غرابة في هذا ،
فالأنثى شهوتها مجنونة
وأشدّ سُعاراً .
هيا يا صحابِ دون تردّد ،
فالمرأة رهن إشارتكم
شدّ أن ترفض واحدة منهن .
ثم إن الرفضَ ليس هزيمة .
سيّانَ قبلت أو رفضت ،
فجميعهن بالغزل يسعدن .
استعرض كل جديد من الألاعيب يستهوينّ .
فما لا نملك . أكثر إغراء مما نملك .
ومحاصيل حقول الآخرين أوفى ،
وضروع قطع الجار أسخى .

أبدأ بالتقرب إلى وصيفة فاتنتك ،
فهي من ستمهد لك الطريق ،
واعلم أنها أكثر من يمتلك سمعها ،
وأنها جديرة بثقتك حين تأتمنها
على هيامك المحجّب .
أغرّها بالوعود والرجاء ،
فإن صدقت نيتُها
باتت ضالتك قريبة المنال .
وستُحسن هي اختيار الميقات
(مثلما يجيد اختياره الطبيب البارع) ،
عندما يصفو مزاج السيدة ،
وتغدو مشبوبة النشوة ،
فتتأود كأعواد القمح في التربة الخصبة ،
وعندما يطرح القلب أشجانه ويتفتّح طربا ،
تبدو الفرصة مهيأة ،
فتحتال فينوس بفنّها المغوي .
فتحت وطأة الحصار ، وفي غمار المعركة الضارية
صمدت طرودة سنواتٍ عشرين .
وما كاد العدو يوهّمها بالانسحاب وتستنيم ،
حتى فتحت ذراعيها مرحبة بالحصان
بيننا غريمها قابع في جوفه .
هكذا . بيدك أن تملك فاتنتك
إن أحققها غريمك
أو خانها مع أخرى .
فلا يفوتك أن تأخذ آسرة قلبك
بئرها منه على يدك .

حُضْ وصيفتها على أن تُذَكِّي نَارَ حَقِّهَا
 وهي تَمْشِطُ خَصَلَاتِ شعرها في الصباح .
 وَضُمَّ إِلَى دَفْعَةِ الشَّرَاعِ قُوَّةُ المَجْدَافِ ،
 وارج الوصيفة أن تتنهد وكأنها تناجي نفسها فتقول :
 « ومن أَسْفُ أَنْكَ لَنْ تَقْوِيَّ عَلَى أَنْ تَرُدِّي لَهُ الصَّنِيعَ بِمِثْلِهِ ٣٦ ! »
 ولتتحدث الوصيفة عنك
 تحمل لها عباراتك المغرية ،
 وتُقَسِّمُ أَنَّ الهوى يعتصر قلبك والجوى يستعبدك .
 ولكن حذار أن تتباطأ .
 أسرع قبل أن يهبط الشراع وتهمد الريح ،
 فقد تبدأ سورة العاصفة .
 مثل الثلج الهش سرعان ما يذوب .
 قد يراودك شعور بأن إغواء الوصيفة نفسها يُجْدِيكَ .
 حِلْمًا
 قد يحمل هذا الطيش بين طيَّاته مخاطرة .
 فإما أن يثير عطفها على مسعاك
 فتُنِيلَكَ فَاثْتَتِكَ ،
 وإما أن تتقاعس عن خدمتك ،
 فعليك بعد أن تقنع بالوصيفة .
 ولو أن سعيك جدير بمثل هذه المخاطرة ،
 إلّا أَنِي أُخْلِصُكَ النِّصْحَ أَنْ تَكْفَ .
 فلم يسبق لشباب قُدَّتْهُ أَنْ وَقَعَ فِي الْأَسْرِ .
 ولن أقودك عبر طرق وعرة خطيرة ،
 بل سأخذ بيدك عبر طريق آمن ممهد .
 فإذا صح أن الوصيفة حريصة على عونك
 وكان وجهها ينبئ عن تفانيها في خدمتك ،

٣٨٠

فاحتفظ بالقبلة الأولى لسيدتها ،
 وأرجئ الوصيفة إلى ما بعد .
 وإذا كان لا معدى لك من مغازلة الوصيفة ،
 فأليك أسوق أغلى ما تفتقت عنه حيلتي .
 كن بداءة على يقين من الفوز بها ،
 حينئذ يبقى السرفي حرز أمين .
 فهي لن تجسر على أن تبوح به ،
 لأنها شريكك فيما ارتكبت .
 فالصياد الماهر ،
 هو من يحرص على ألا يفلت منه الطير .
 بعد أن يحط في الشباك ،
 ولا الخنزير البري بعد أن يقع في الشراك ،
 ولا السمك بعد أن يلتهم الطعم .
 وإذا غدت الوصيفة طوع بنانك ،
 تمهّد لك الطريق إلى ما تنشد
 ففي سبيلك ستخون وليّة نعمتها
 تعيد على سمعك ما عرفت وشاهدت ،
 وما جرى على لسان فانتتك .
 واصغ إلى ما تنقله إليك جاسوستك الوفية ،
 لتدري متى مالت عنك آسرتك

*** ** *

ولا يخطر ببالك أن معرفة التواريخ والفصول

حِكْرٌ على الملاحين ماخري العباب ،

أو على الفلاحين حارثي الحقول .

٤٠٠

وإياك أن تنثر البذور في الحقول العاقة ،

أو تترك قاربك المجوّف نهبا للخضم الأخضر .

فاصطياد الجميلات غير مأمون في كل الأوقات .

وهذا الذي يقدّر الوقت

هو وحده من يفوز .

وأنت

لا تسع إليها يوم ذكرى ميلادها وأيام تقديم الهدايا

التي تجمع بين ثينوس ربة الحب ، ومارس رب الحرب والفحولة .

وسواء كانت حلبة الملعب مزدانة بالتماثيل ،

أو كانت عامرة بغنائم الملوك يتقاطر الناس عليها ،

تراخ أنت ،

واعلم أن هذا الوقت عينه

مهدد بأخطار العواصف ،

لأن كوكبي الثريا والجديين

تلتقيان بأمواج البحر قرب الأفق ،

فن الحكمة أن تكفّ .

فالملاح الذي يُسلم آنذاك

مركبه إلى موج الخضم العميق ،

ما أشقّ عليه أن ينجو ببقايا قاربه المحطّم .

صل سعيك حين يفيض نهر الآليا المشثوم ،

بدماء جروح اللاتين ،

وفي ذاك اليوم السابع من أسبوع يهود الشام

حين يكفّون عن البيع والشراء^{٣٧} .

وتجنّب يوم ذكرى مولد فانتك ،
لعمرى أنه يوم أغبر ،
حيث لا مهرّب من تقديم هدية ،
مهما حاولت ،
فالمرأة بارعة في سلب عشيق متلهّف ،
ثروته . ٤٢٠

سيمرّ بباب عشيقتك ، بائع جائل
يعرض ما يحمله من سلع ، وهي تهفونفسا للشراء ،
بينما تجلس أنت إليها مهموما .
ستحاول إيقاعك في ورطة ،
تسألك الرأي فيما هو معروض ،
وتُذكي فيك خيلاءك كي تبدو خيرا ذوّاقة ،
وتجيب .

ستغمر وجهك بالقبلات ،
تستجديك شراء المطلوب ،
مُقسمة ألف يمين أن سوف يكفيها عشرة أشهر .
وما أنسبه يوما ، فالحاجة ماسة .
ومهما راوغت مدّعا أنك لا تحمل ثمنه في جيبيك ،
ستقول « لا حرج عليك ، وقّع صكّا بالمبلغ » .
عندها ستلعن اليوم المشؤم ،
يوم خطّت يمينك للمرة الأولى .
وستستهديك هدية ، تدعوها « كعكة مولدها » .
وتعيد الكرة حين تريد هدية ،
فلا تتخرج من أن تختلق عيداً آخر لمولدها
يتفق وكل هدية .
هَبّها شهقت فجأة ،

زاعمة فقدان شيء لم يُفقد .
ما ذا تفعل إن قالت :
« من قُرطي سقط اللؤلؤ » ،
بينما تعلم أن القرط من اللؤلؤ عار ؟ .
لا ترقب منها سداد الدين ،
فمالك مفقود حتماً دون كلمة شكر .
عشرة أفواه ، ومن الألسنة مثلها
لا تكفيني يا صاح ، كي أحصي
حيل الفاتنة الماكرة .

*** **

ابسط الشمع فوق ألواح الكتابة الملساء
قبل أن تخطّ عليها .
ودع كتابك يكشف عن نواياك ،
يحمل نبض وجدانك ، وانبهارك بمفاتنها ، ٤٤٠
كي تستميلها .
وأضف ضراعات الحب عربونا .
فن قبل استمالت الضراعة قلب أخيل ،
فأعاد جثة هكتور إلى أبيه بريام .
والآلهة الغضبي ،
لا يحرك قلوبها غير ضراعات المتعبدين .
امنح الوعود ، فليس عليها حساب ،
فبالوعود يغدو كل امرئ ثريا .

الأمل إذا غزا القلوب عاش طويلا .
الأمل ربٌ خادع ، وهو حيناً نافع .
وإذا بذلت فلا يخالجتك الغرور ،
فما أسرع ما يبطل فعلُ هديتك في نفسها
فتهجر ك عن سببٍ تراه هي وجيها .
وخيرٌ لك أن تبدو وكأنك على وشك عطاء ،
لن يكون .

فما أكثر ما تخدع الحقولُ القاحلةُ صاحبها ،
وما يرتد المقامر عن اللعب خشية أن يخسر ،
يده الجشعة تهفو للرد المرة تلو المرة .

بلا هدايا مسبقة ، أظفر بحب معشوقتك ،
« هذا هو العناء ، وهذا هو العمل الجاد »^{٣٨} .
ثق أنها ستبهيك المزيد ،

حتى لا تحال أن ما وهبتك قد وليّ عبثا .

عجل إذن برسالة منمقة

تهزّ كلماتها كلّ مشاعرِها ،

ولتكن رسالتك رسول هواك .

أو لم تقرأ سيديبي الرسالة المسطورة على التفاحة ،

فإذا هي تقع أسيرة ما فاهت به ^{٣٩} ؟

*** *** ***

أي شباب روما .
 عليكم بفنون الخطابة الرفيعة ،
 لا لتبرثوا موكلَيْكم المتوجّسين خيفة فحسب ،
 أولتقنعوا القضاة الصارمين ،
 أولتؤثروا على الشيوخ المختارين ،
 أولتكسبوا تأييد المشاهدين ،
 بل لتسحروا بالبلاغة النساء أيضا .
 ليس الحب مجالا تستعرض فيه قواك ،
 فاحذر أن تشي عباراتك عن سعة علمك ،
 ولا تتحدلق في توسلاتك أو تتقعر .
 وَمَنْ غير الأحمق ،
 يُفرغ خطبة طنانة في أذن حبيته الرقيقة ؟
 كم من رسالة بأسلوب خطابي أورثت النفور ؟
 فلتوح ألفاظك بالثقة ،
 ولتتق كلمات مألوفة ،
 ملاطفة متملقة ،
 فتبدو وكأنك تتحدث في حضرته بصوتك الحي .
 فإن ردّت مكتوبك غير مقروء ، لا تيأس ،
 وازدد أملًا أنها ستطالعه يوما .
 فالثور العنيد يُقبل على الحرث حين يعنّ له ،
 والخيّل تلفظ العنان ، ثم تتقبّله طيّعة ،
 والخاتم لو صُبّ من حديد ، يتأكّل بطول المدى ،
 وتكرار الحرث يثلم نصل المحراث المقوس .
 وأي شيء أصلب من الصخر ،
 وأي شيء ألين من الماء ؟
 غير أن الماء اللين ، يخرق الصخر الصلب .

ثابر ، فالمثابرة وحدها ، قد تقهر بنيلوبي .
 وطروادة البرجامية ظلت صامدة سنوات عشرا ،
 ومع ذلك سقطت .
 هَبْ أَنْ فتاتك قرأت مخطوطك
 وتهاونت في الرد عليك ،
 لا تَهْنُ عزيمتك ،
 واحرص أَنْ تُتبعه بثناء آخر ،
 فن قبلت أَنْ تقرأ ،
 ستقبل يوما الرد على ما قرأت .
 سيأتي ذاك اليوم على رِسله ، على درجات ومراحل .
 ولا تَقْنَطْ ،
 إن جاءك منها مكتوب غاضب ،
 ينهاك عن مضايقتها .
 فاعلم أَنْ ما تبغيه هو ما تخشى أَنْ يتحقق ،
 وما لا تبغيه ، بينا تعشقه ،
 هو أَنْ تُتابع سعيك .
 صِلْ إلحاحك ، وقريبا تحظى بفضالتك .

٤٨٠

*** **

وحتى يحين ذاك الوقت
 إن لَمَحْتَ محبوبتك
 تتكىء على وسادة الهودج المحمول ،
 اقترُب منها بحرص ورياء .
 وَخَشِيَةً أَنْ تَسْتَرِقَ أُذُنُ السَّمْعِ إِلَى هِمْسَاتِكَ
 اخفِ معاني الكلمات ،
 غَلِّفْهَا فِي إِيمَاءٍ مَآكِرٍ .
 وإذا كانت قدماها المتثاقلتان
 تَطَّانِ الْأَرْضَ فِي الرِّوَاقِ الْفَسِيحِ ،
 اقترُب منها وشاركها ثقل الخَطْوِ .
 داعبها بمغازلة ودِّيَّةٍ ،
 أسرع تارة وتلكًا أخرى ،
 لا تَحْجُلْ أَنْ تَنْفِلْتَ بَيْنَ الْأَعْمَدَةِ لِتَقْطَعَ عَلَيْهَا خُطَّ السَّيْرِ ،
 وَأَنْ تَزْحَمَهَا فِي الْخَطْوِ .
 وفي المسرح لا تدع فتنتها تتبدد .
 قَرِّ فِي مَقْعَدِكَ وَتَأْمَلْ أَنْاقَتَهَا .
 هذِي فِرْصَتَكَ فَأَظْهِرْ إِعْجَابَكَ .
 ٥٠٠ أكْمَلْ غَزْلَكَ بِإِشَارَاتٍ يَدِيكَ وَنَظَرَاتِكَ .
 صَفِّقْ حِينَ يَحَاكِي اللَّاعِبُ رَقْصَةَ أَنْثَى ،
 وَنَحْمَسَ لِلْعَاشِقِ يَظْهَرُ فَوْقَ الْمَسْرَحِ ،
 وَانْهَضْ ، إِذَا مَا نَهَضَتْ ،
 وَاقْعِدْ ، إِذَا مَا قَعَدَتْ ،
 طَوِّعْ وَقْتُكَ وَفَقْ رَغْبَاتِ فَنَاتِكَ

*** *** ***

لا حاجة بك أن تصفّ شعرك بأمشاط الحديد ،
ولا أن ترقق أطرافك بحجر الخفاف .
دع هذا للخصيان
الذين يتغنّون بإنشادهم المحموم ، الفريجي النغمات
لربّتهم كويلي .
فالآخرى بالرجل الأليغالي في زينته ،
فثيسوس غزا قلب أريادني ابنة مينوس^{٤٢}
دون أن تزين دبابيس الشعر فؤديه ،
ووقعت فايدرا في هوى هيپوليتوس^{٤٣}
ولم يكن من المغالين في زينتهم ،
وحظي أدونيس ابن الغاب^{٤٤} والفطرة
بقلب ربة الهوى فينوس .
آيتك النظافة ،
واترك وجنتيك لريح الحقول تلّو حهما .
ولتكن عبادة التوجا مناسبة لقدك ،
وثوبك خاليا من البقع ،
وأربطة نعلك مشدودة .
ولتجلّ صُفْرة أسنانك حتى تتألق .
واختر لقدمك حذاء لا تفرّق فيه وتضلّ .
ولا تُسلم شعرك المنتصب العنيد ،
وذقنك المهوّشة ليد حلاق حامل .



قَلَمَ أظافرك البارزة ، واطرح عنها القذى ،
وانزع الشعيرات المطلّة من تجويف منخارك .
ناشدتك الرّفق بالناس من بَخْرِ يفوح به فمك ،
ولا تحاك برائحتك عطن القطيع وراعيه
يثب في خياشيم الناس .
واترك ما عدا ذلك من ضروب التأنق والزينة للغانيات ،
وللذكور الذين يحملون
رسالة إرضاء شهوات نظرائهم من الذكور .

*** *** ***

ها هو ذا باكخوس يدعو منشده ،
ولا عجب ، فباكخوس حليف للهوى ،
يُذكي الشعلة التي يحترق بها .
طوّفت أُردياني كالمجنونة فوق رمال لم تطأها قدمٌ
بجزيرة ديا « ناكسوس » الصغيرة
تلطم شطآنها الأمواج .
وما أن نهضت من سباتها
في قميصها المنسدل الفضفاض عارية القدمين ،
وقد استرسل شعرها الأشقر ،

حتى صاحت في وجه الأمواج الصماء
منادية ثيسيرس حبيبها الغادر
وبللت وجنتيها الرقيقتين بدمع العار .
وما أجدها الدموع ولا أجداها العويل ،
ولوأنهما لم يَمَسَّا جمالها .
ثم دَقَّت صدرها البضّ وهي تصيح :
« خَلَفني الغادر وحدي ،
ماذا تراني فاعلة ؟ »

ولم تلبث أن سقطت مغشىاً عليها ،
إذ ريعت بعد أن طرق سمعها
صكُّ الصنوج وقرعُ الطبول ،
آتية عبر رمال الشاطئ .
ولفظت آخر كلماتها ،

٥٤٠

قبلما تجف في أطرافها الحياة .
ها هوذا موكب باكخوس وأتباعه ،
يهلّون بضفائرهم المتهدلة على ظهورهم ،
تتقدمهم « جوقة » الساتير الداعرين ،
تتلوهم ثلة تبشّر بطلعة الإله .
ها هوذا أبونا العجوز سيلينوس
راعي الإله باكخوس ،
ثملاً يقبض على معرفة جحشه المحدودب الظهر
خشية أن يسقط ،
والحوريات يشاغبنه فيطاردهن ،
يهربن منه ثم يعدن يعاكسنه .
وفارسنا المترهل يحثّ دابته بعصاه عبثاً ،
ويسقط فوق الأرض عن صهوة جحشه الطويل الأذنين ،

يجذب رأسه ، فتهلل جوقه الساتير من حوله
 « .. قُمْ .. انهض يا أبانا سيلينوس » .
 وتُطلُّ طلعة الإله ،
 من بين عناقيد الكروم
 التي تكسو مركبة تجرّها النمرور المكبلة ،
 يقودها بأعنة من ذهب .
 ولم تفقد أريادني ثيسوس وحده ،
 بل فقدت معه لون بشرتها وأوتار صوتها .
 ومراتٍ ثلاثا حاولت أن تولي الأدبار ،
 ومراتٍ ثلاثا أحبط الخوف مسعاها ،
 وارتعدت كما ترتعد الأعواد الجافة أمام الريح ،
 وارتجفت كما ترتجف قصبات الغاب وسط مياه المستنقع .
 وناداه الإله بقوله :
 « ما خطبك وأمامك عاشق يفوقه إخلاصا ،
 لأهبتك السموات مَهْرًا ،
 ولسوف يتطلع الناس إليك نجما مضيئا في السماء ،
 ليغدو تاجك الكريتي منارةً يهتدي بها القارب الضال » .
 وخشية أن تُراعى الفتاة من نموره ، قفز الإله من عربته ،
 فلانت الرمال تحت قدميه وهويخطو ،
 واحتواها في صدره ،
 (إذ استرخت وأصبحت أعجز ما تكون عن أن تقاوم) .
 وحملها بعيدا .
 ما أيسر أن يكون الإله قادرا !
 وأنشد البعض « عشت يا هيمينايوس » ! .
 وهلل البعض الآخر « إيويهيه »
 إلى من يُقال له إيويهيه^٥ .



روبنز : باکخانال [حفل باکخوسي]

في هذا المقام يحتلي الإله بالعروس
فوق أريكته المقدسة ،
ويغشاها .

*** **

لذلك عندما يفيض عليك سخاء باكخوس ،
فتشاركك امرأة أريكة الشراب ،
اضرع لرب شعائر الليل الماجنة ،
ومُرْقوي الليل أن تحول دون أن تدير الخمر رأسك ،
حتى تملك قول الكثير في كلمات مُلغزة ،
تلفت انتباه شريكك إلى أنك تعنيها بحديثك .
ولترسم بالخمير على المائدة بالحرف الدقيق
كلمات الإطراء الرقيق ،
فتدرك شريكك بمطالعتها
أنها ملكت قلبك .
أرن إلي عينيها بمُقلتين
تحملان الاعتراف بما يشتعل في صدرك من جوي ،
قُربَ نظرة صامته حُبلى بأبلغ الكلم .

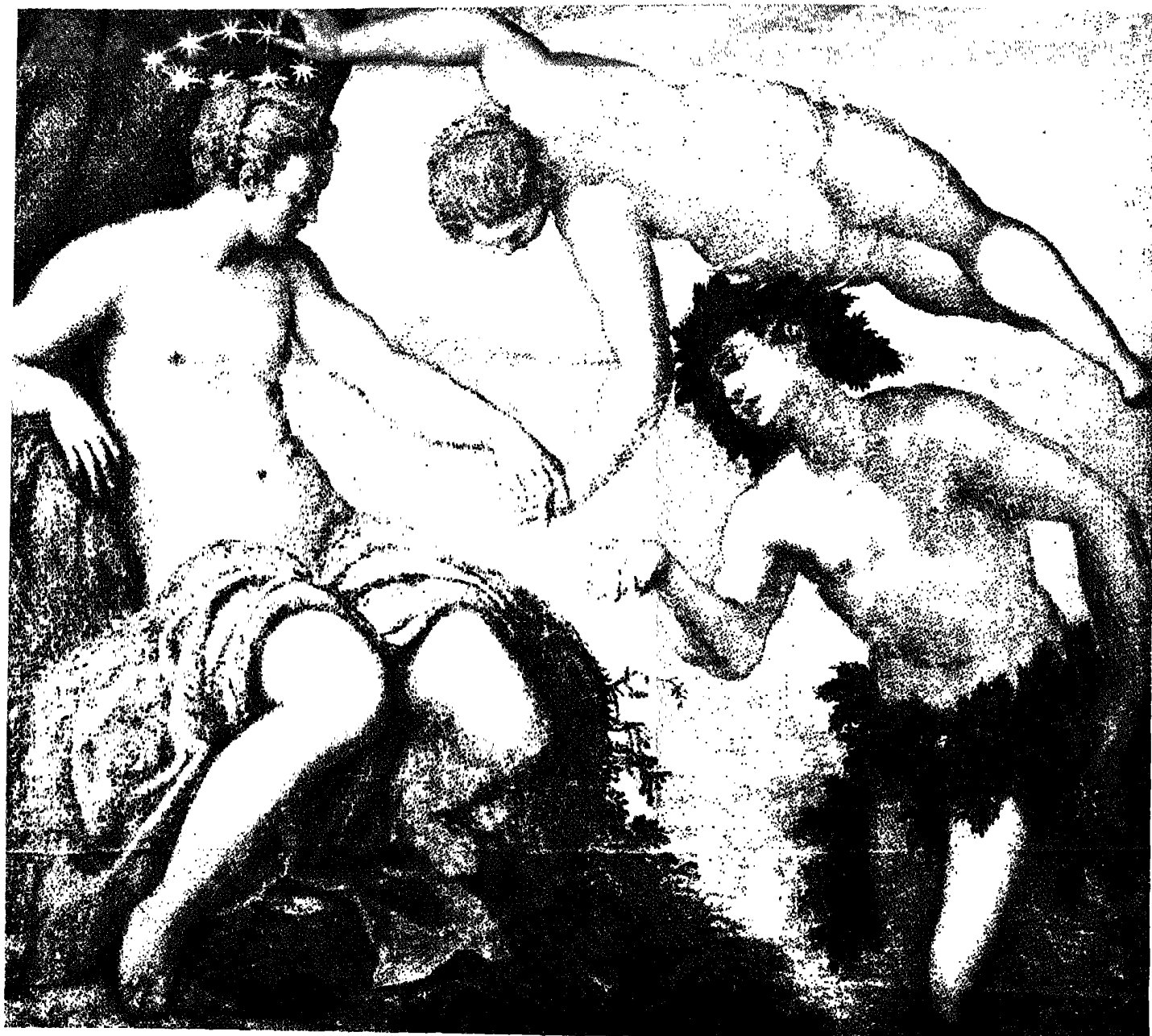
ٲان دايك : سيلينوس ٲملاً . ياذن من متحف درسدن



وكن أول من يقبض على الكأس التي لثمتها شفتها ،
وارشف من حيث رشفت ،
واسع في طلب صحيفة الطعام التي امتدت إليها يدها ،
بل أمسس يدها .

٥٨٠ واحرص على أن تكسب زوجها صديقا ،
ذلك أجدى لك .
تنحّ له عن النخب الأول إذا كان الشراب اقتراعا ،
واخلع عليه إكليل الغار الذي يعلوها منك .
سواء كان في مكانتك أو أدنى ،
أدعه إلى تناول ما يطيب له
مما هو على مائدتك ،
وامنحه الصدارة في الحديث .
فطريق الخداع تحت ستار الصداقة مأمون مطروق ،
غير أنه طريق آثم .
وارع زوج محبوبتك رعاية نُظَّار الضِّبَاع
يبالغون في الاهتمام بما وُكِّلَ إليهم ،
ليستنزفوا منه مزيدا لهم .

*** ***



تنتوريتو : باكخوس وأريادني
قصر الدوج بالبندقية

أي مريدي

هاك ناموس الشراب ، فاتبعه ، تأمن .
احرص على صفاء ذهنك ، وتوازن قدميك
حتى تؤدي جميعا واجبها خير أداء .
وتجنب بخاصة

الشجار الذي ينشب في أعقاب احتساء الخمر ،
حين تتسابق الأيدي إلى المصارعة الوحشية .
وقديما هوى القنطور يوريشيوس فوق الأرض
على إثر ما تجرّعه طيشا من خمر^{٤٧} .

فالطعام والراح يجمعان الناس على مرح لا على عراق .
غنّ إن كنت رخيم الصوت ،
وارقص إن وُهبّت الرشاقة ،
أسعد من حولك بأية موهبة مُنحت .
السكر المفرط وخيم العاقبة ،
والتظاهر بالسكر زيفا حلوا الجني .
فليتعرّ لسانك الطلق في حديث متلثم ،
حتى إذا بدر منك ما يُعدّ تجاوزا للباقة
وقع وزره على الإفراط في الشراب .

٦٠٠

ارفع كأسك وقل : « في صحتك يا سيدتي »
« وكذلك في صحة من ينعم إلى جوارك في الفراش » ،
بينما يردد قلبك في صمت :

« فليمض الزوج إلى الجحيم سريعا » .
وحين تُرفع الصحاف ، وينفضّ الصحاب ،
بادر بالاقتراب منها في زحمة الانصراف ،
واجذب طرفا من كمّها ،
والمس قدمها بقدمك ،

فقد آن أوان الحديث معها ،
واطرح عنك خجل أهل الريف .
إن ربة الحظ « فورتونا » وربة الهوى « فينوس »
لن يقدمَا عونهما لغير الجسور .
ولا تتأخر حتى يهبط عليك وحي الشعراء ،
بل ابدأ ، وستأتيك الطلاقة طواعية .
مثل دور العاشق ،
وزيف شجن الحب بمعسول القول ،
فلن تكاد تؤمن بما تردده لها حتى تُنيلك ما تبغي .
ولا تخل أن تصديقك أمر متعذر ،
فما من امرأة إلا ترى في نفسها مدعاة للعشق ،
وهي مهما بلغت من القبح شأوا ،
مؤمنة بأنه لم يُخلق بعدُ
من يُفلت من سحرفتنها .
ومع ذلك كله ،
فما أكثر ما يقع مدّعي الحب في شرك الحب حقا ،
ويتحوّل مؤمنا بما انتحل .
وصيتي إليكن أيتها النساء ،
أن تغدون لمدّعي الحب ألين عريكة
فقد تظفرون به عاشقا مشتعل الوجد .
ولقد آن أن يقع القواد في شرك المديح البارع ،
كما تنحت المياه الجارية من نتوء الشاطئ ،
فلا تتوان عن التغزل في سحر عينيها ،
وفي جمال شعرها ، وأناملها المبسوطة ،
وقدميها الدقيقتين .
فحتى أشرف العذارى يتشوّفن إلى الاصغاء

٦٢٠

بلا انقطاع إلى اطراء محاسنهن .
والعفيفات كذلك ،
يغرّهن أن يكون جمالهن مثار احتفاء ،
وإلا لما استحييت كل من چونو ومنيرثا ،
بعد أن فازت عليهما فينوس في مباراة الجمال
التي انعقدت في الغابات الفريجية .
فحينما تطري امرأة ،
ينشر طاووس چونو جناحيه زهواً وخيلاء .
أما إذا قنعت بالحملقة إليها في سكون ،
فلسوف تحجب عنك مفاتنها .
حتى فرس السباق العريقة في حلبة المباراة ،
تهفو إلى أن تمشط لها معرفتها ،
وتهدد عنقها .

*** *** ***

كن جسوراً في وعودك ،
فطالما خدعت الوعود النساء ،
واختر إلهاً تُشبهه على قسمك .
إن چوپيتير في عليائه يضحك ملء شذقيه ،
على قسم العشاق كذبا ،

ويأمر رياح أيولوس^٨ أن تذروه أدراجها .
 فحويتر نفسه ،
 ألف أن يقسم لچونوبنهرستيكس زيفا .
 فما أحرأه أن يناصر من هُم على شاكلته ،
 يتبعون هديه .
 حقاً إن للآلهة نفعاً عظيماً ،
 فلنؤمن إذن بوجودهم^٩ .
 وليُحرق البخور ،
 وليُسكب النبيذ على المذابح العريقة ،
 فالآلهة في عليائهم ،
 ليسوا غافلين كأنهم نيام لا يبالون .
 وحذار أن تسيئ إلى غيرك ،
 لأنهم يرقبون أفعالك عن كثب .
 رُدّ الوديعة إلى صاحبها ، والتزم بما وعدت ،
 لا تخدع ،
 ولا تلوث يديك آثماً بإراقة دم مسفوك .
 وان تكن حكيماً فلا تخدع سوى النساء ،
 كي تنجو من المتاعب .
 والتزم بما وعدت عدا ما ذكرت ،
 فلا بأس عليك أن تخدع الخادعات ،
 فجلهن ماكرات ،
 وليقعن فيما نصبه من فخاخ .
 يُحكى أن مصر قد نضب من سمائها المطر ،
 وعاشت أرضها ظمأى تسع سنوات عجاف ،
 فاقترب ثراسيوس من بوزيريس ،
 يعرض استرضاء رب الأرباب بسفح دم غريب .

٦٤٠

فردّ بوزيريس بقوله :
 « لأنّ الغريب ،
 ولتكوننّ أول ضحية لرب الأرباب ،
 وبك تُمنح مصر الماء » .
 وقضى فالاريس بأن يُحشِر بيريلوس في جوف الثور ،
 ليكتوى بما صنعت يداه ، ٥٠
 فكان صانع الشؤم أول من اختبر صنيع يديه .
 بوزوريس وفالاريس ، كلاهما عادل ،
 فليس أكثر عدالة من قانون يقضي
 بأن يموت مهندسو الموت بما أبدعت هندستهم ،
 هكذا عليك أن تشعر المرأة بوخز الجرح ،
 الذي بعثته هي بفتنتها في قلوب الرجال .
 الدموع سلاح يفلّ الحديد ،
 فهيّ لفاتنتك ما وسعك الجهد
 أن تشهد وجنتيك مندّاتين .
 وإن أخفقت في استدرا دمعك ٦٦٠
 (لأنه قد لا يستجيب إليك طيّعا حين تريد) ،
 بلّل عينيك .
 أي حكيم لا يمزج بين القبلات ومعسول الكلام ؟
 أن تمنع عنك القبلة ، حاول أن تجنيها قسراً ،
 وقد تلقي مقاومة منها وتسبّك قائلة « يا وغد » ،
 بينا هي في الحق تذوّبُ
 فإذا انهزمت بين يديك فلا تُغلظ في خطف القبلة ،
 كي لا تُدمي شفّتها الرهيفتين ،
 ولا تتح لها أن تندّد بغلظتك .
 القبلة وحدها ليست غاية ،

فمن لا يظفر بما يتبعها ،
غير جدير بأن ينعم حتى بما مُنح .
فيم انتظارك بعد القبله ؟
إن لم تصل السعي لبلوغ المأرب ،
فلا تردّ ذلك إلى الحشمة مدّعيها ،
بل إلى تحاذلك .

زاول العنف ، فالنساء يحبينه منك ،
يفضّلن أن يهنّ مكرهات ما يتّفنّ إلى منحه .
وما أسعدها تلك التي تأخذها على غرة ،
فهي تفسر جرأتك على أنها آية تقدير منك لها .
أما تلك التي تمضي دون أن تمسّسها ،
وكان في وسعك أن تعنف معها ،
صدّقي . أنها مهما بدت سعيدة ،
فهي في الحق شقيّة .

لقد عانت فويبي وشقيقتها هيليرا من عُنف السّبي
[من التوأمن كاستور وپوللكس] ،
ومع هذا ذاقا أعذب متعة في كنفِ الأسر .
ومع أن قصة العذراء دايداميا الإسكيرية
وعشيقها أخيل الهايموني ذائعة الشهرة
إلا أنها جديرة بالسرد .

فما أن أهدت فينوس لپاريس حب هيلينا ،
نظير حكمه لها بجائزة الجمال
بتفوقها على چونووميرفا ،
ووفدت هيلينا الإغريقية إلى قصر پريام الطروادي ،
حتى أقسم أمراء الإغريق جميعا
يمين الولاء لمنيلاوس زوج هيلينا جريح الفؤاد ،

للثأر من طرواده ،
وهكذا أصبح عذاب فرد قضية أمة .
وعلى نحو مخزٍ أذعن أخيل لضراعات أمه ثيتيس ،
واستخفى في زي امرأة ،
عسى أن تجنبه مصيره المشثوم في حرب طروادة .
أي أخيل ،
ما كانت « شلّات » الصوف حرقتك ،
وانما شهرتك في فن آخر ترعاه « باللاس » ،
ما لك وصناعة السلّات يا حفيد آياكوس ،
فما أنخلق ذراعك بحمل الترس ؟
وما لكفك وشلّات الصوف ،
تلك الكفّ التي بها ستصرع هيكتور ؟
ألق بالمغزل ولفافاته المُضنية بعيدا ،
فقبضتك جديرة بأن تسدّ رمحا
من خشب أشجار جبل پيليون .
وكانت الأميرة دايداميا في قاعة تضم أخيل ،
ولم تكشف حقيقته إلا بعد أن وطئها .
لقد نالها بالعنف ،
وهي حقيقة لا ممارسة فيها .
وكم أحبّت أن ينالها ثانية بالعنف ،
وكم صاحت وهويمضي عنها :
« امكث بقربي ، ولا تدعني » .
وكان أخيل قد ألقى بالمغزل ،
خلع ثياب الأنثى وامتشق سيوف الأبطال .
ما خطبك يا دايداميا ،
أتستبقين هاتك عِرْضك قسرا

بنداءاتك المغوية ؟
المرأة وإن كانت تخجل حين البدء ،
غير أنها لا تلبث أن تخضع منتشية .
العاشق المغرور وحده ،
هو الذي يرقب أن تبدأ محبوبته بمغازلته .
اخط الخطوة الأولى وتضرّع بعبارات عذبة ،
فما أشد ارتياح المرأة إلى ما في الضراعة من ملاطفة .
دبر لها ذريعة ، تحفظ لها حياءها ،
تمنحك ما تصبو إليه .
لقد مضى چوبيتر نفسه ضارعا إلى بطلات الزمن الغابر ،
فلم نسمع عن إحداهن بدأت بمغازلة رب الأرباب .
ولكن لك أن تتقمقر إلى الورا خطوة ،
إذا اكتشفت أن ضراعاتك تغريها على أن تطغي .
ومن النساء من يتشبثن بمن يسارع إلى هجرهن ،
وينفرن ممن يرمي لاصقا بأعتابهن .
اعتدل في زحفك نحوهن ،
وتجنّب أن يسأمنك ،
ولا تكشف في ضراعاتك عن أملك في إتيانهن ،
وليشقّ الحب طريقه مقنّعا بخمار الصداقة .
فقد صادفتُ امرأة متمنّعة ذات مرة ،
خدعتها الوسيلة عينها ،
وسرعان ما استحال من بدأ معجبا فحسب ، عاشقا مدللها .

*** *** ***

من الخِزِّي أن يكون جسدك أبيض ،
فَبَشِّرْهُ المَلَّاحُ الحق يلفحها وهج الشمس وملح البحر ،
فلا تبدو بيضاء .

كذلك بَشِّرْهُ الفلاح الكادح وسط العراء
— يفلح الأرض بمحراثه المقوس ، ومسحاته الثقيلة —
لا تبقى بيضاء .

وأنت أيها الرياضي ،
يا مَنْ تسعى إلى أن يتّوج إكليل الزيتون جبينك ،
من الخِزِّي أن يكون جسدك أبيض .
أما شحوب البَشْرَةِ فلا يكون لغير العشاق ،
هذا هو لوئهم المعهود والخليق بهم .
ما أحرق القائل بأن شحوب البَشْرَةِ لا يُعين العشاق !
نَعِمَ أوريون الشاحبُ الوجه بفتيات غابات ديركي^{٥١} ،
ودافنيس^{٥٢} بشحوبه ،

لم ترفضه غير حورية واحدة [حين خانها] .
وليكن الهزال هو الدليل على مشاعرك كذلك .
لا تظنّتك تحجب خزيا
حين تحجب خصلات شعرك تحت قلنسوة ،
فليالي السُّهاد كفيلاً
بيت السقم في أجساد العشاق ،
كما بيت فيها الجوى المشبوب ، القلق والشجن .
ولكي تبلغ ما تصبو إليه ،
تظاهر بأنك جديرٌ بالإشفاق عليك ،
حتى يقول لك من يصادفك : « لَأَنْتَ عاشقٌ مُعْنَى » .
ماذا تُراني فاعلا ؟
هل أعلن على الملأ ، أم أهمس في الآذان ،

أن الصّواب والخطأ في هذي الأمور يمتزجان ؟

ليست الصداقة إلا اسما ،

والثقة لفظ أجوف .

وآسفاه !

ليس من الأمان أن تمتدح محبوبتك لصديقك .

فهو لا يكاد يقف على أوصافها ،

حتى يتسلّل ليحتل مكانك .

قد تقول إن پاتروكلوس بن أكتور^{٣٥} لم يدنس فراش صديقه أخيل ،

وأن فايدرا كانت عفّة - على الأقل - في علاقتها بپيريثوس .^{٣٦}

وقد تردف بقولك ،

أن پيلاديس أحب هيرميونيه الحب الطاهر^{٣٧} ،

الحب نفسه الذي حمله فويوس لشقيقته پاللاس ،

والتوأمان كاستور وپوللكس لشقيقتهما هيلينا .

ولكني أقول لك :

إذا كان هناك من يحلم بهذا الأمل ،

فدعه يأمل أن تُثمر شجرة الطرفاء تفاحا ،

ودعه يبحث عن الشَّهد في مجرى النهر .

وآسفاه ،

ما لنا لا نُعجَب إلا بما هو مخزٍ ،

فالمرء لا يعبأ بغير متعته ،

أو من الإثم وآثاره ،

فما أغنى العاشق عن أن يكون له غريم .

أهجر حتى أولئك اللذين تثق في وفائهم ،

تأمن .

واحذر قريبك وأخاك ، ونديمك ،

انهم واخلجلاه مكمّن الخطر !

كنت أهمّ بأن أختتم حديثي ،
 غير أن النساء قُلُوبٌ ،
 فلا مهرب من أن تتزوّد بألف وسيلة
 كي تقوى على مواجهة هذا الحشد من الأنماط المختلفة .
 فالحقول لا تتماثل عطاء .
 هذا يُنتج كَرَمًا وذاك يُغلُّ زيتونا ،
 وهنا تنمو الحنطة بوفرة .
 وكذلك تتباين أنماط القلوب
 بعدد ما في العالم من أشكال .
 ٧٦٠ الحكيم هو من يكيّف نفسه وفق المواقف التي لا تُحصى ،
 وله أسوة في پروتيوس ، الذي كان يتشكّل كيف شاء ،
 تارة موجا ، أو أسدا ،
 وتارة شجرة أو خنزيراً برياً فظا .
 ونحن نصيد السمك هنا بالرمح ، وهناك بالشّص ،
 وفي مكان آخر نصيده بالحبال المشدودة
 في الشّبّاك البعيدة الغور .
 والجيل لا تتطابق في كل العصور .
 الوعل الناضج يلمح الفخّ من بُعد بعيد .
 وإذا زهوت بثقاقتك أمام امرأة محدودة العلم ،
 أو تماجنت أمام امرأة محتشمة ،
 اهتزت ثقتها بنفسها ، وأصبحت مثار العطف والشفقة .
 وكم من امرأة ترددت خوفا من أن تهب نفسها لعاشق مهذّب ،
 وارتمت في أحضان وغد خسيس .

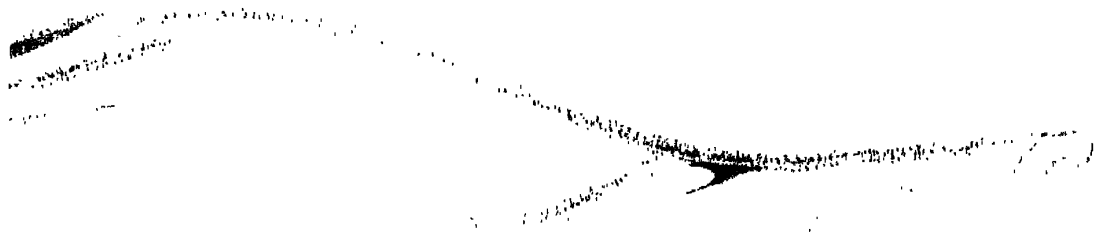
*** ** *

لقد انتهيت الآن من جزء مما أقدمت عليه ،
وآن لنا أن نُلقِي المرساة هنا ،
ليركن قاربنا إلى الراحة قليلا .

*** *** ***

الكتاب

الثاني



غَنِّ يَا قَتَى "النَّصْرَ لَنَا" ،
وَرَدِّدِ "النَّصْرَ لَنَا" ،
فَقَدْ وَقَعَتْ مَنْ كَتَّ أَطَارِدَهَا
فَرِيسَةً فِي شَرَائِي .
وَلِيَتَوَجَّ بِإِكْلِيلِ الْفَارِ جَبِينِي ،
مَنْ أَسْعَدَهُ الْعَشَقُ .
وَلِيَرْفَعْنِي فَوْقَ مَرْتَبَةِ هَسِيودَ شَاعِرٍ أَسْكَرَا ،
وَهُوَ مِيْرُوسُ الضَّرِيرِ ، حَكِيمُ مَائُونِيَا الْعِجُوزِ !



غنّ يا فتى « النصر لنا » ،
وردد « النصر لنا » ،
فقد وقعت من كنت أطاردها
فريسة في شراكي .
وليتوّج بإكليل الغار جيبي ،
من أسعده العشق .
وليرفعني فوق مرتبة هسيود شاعر أسكرا ،
وهوميروس الضر ، حكيم مايونيا العجوز^١.
عاد ابن پريام بعروسه المخطوفة
من شواطئ أميكلاي موطن المحاربين ،
ناشرا أشرعته الناصعة .
وكذلك يا هيپوداميا ، حملك عريسك في مركبته الفائزة

بعيداً عن ثرى وطنك^٢ .
 فيم العجلة يا فتى
 وشراعك ما زال يشقُّ الريح
 وسط البحر المبسوط ،
 والمرفا الذي أحاول دفعك صوبه
 لا يزال بعيداً كل البعد ؟
 حسبي أن نشيدي ألقى بفتاة أحلامك بين ذراعيك .
 حقاً قد علمك في كيف تفوز بها ،
 ولكن عليك أن تأخذ عنه كيف تستبقيها في كتفك .
 للغزوروعة ،
 وأروع منه أن تحتفظ بِكَسْبِكَ .
 في الأولى قد يلعب الحظ دوراً ،
 أما في الثانية ، فلا معدى لك عن الحذق والمهارة .
 أي إلهة كثير (فينوس)
 أنتِ وابنتك إيروس (كيوبيد)
 وأنتِ أيضاً يا إيراتو
 يا من أشتق اسمها من الحب ذاته^٢ ،
 أمرُّ جلل يُشغل بالي اليوم ،
 فأمدوني - كرماء منكم - بعونكم .
 لأجلون لكم بفني ،
 كيف نقهر الحب على أن يثبَّت .
 الحب ! ذاك الفتى الهائم في رحاب الكون
 فتى قلب ،
 بجناحيه يحلق ، يفلت ،
 عصي كبح جماحه .

*** **

ولكم حاول مينوس عبثا
أن يتصدى لضيغه الغريب
حتى لا يُقْلَت منه .
لكن ذاك الضيف ،
بجناحيه الجريئين
وجد إلى الهرب طريقه .
فبعد أن أودع في السجن
ذاك الوحش [المينوطور]
نصف الإنسان ونصف الثور ،
حدّث دايدالوس مينوس وقال :
« أي مينوس
يا أعدل الملوك
أما لمنفائي هذا من آخر ،
أما أن لرماد جسدي أن يُردّ إلى تراب وطن آبائي ؟
إن كانت الأقدار قد قست عليّ ،
حرمتني الحياة في وطني ،
فهل تفضنّ عليّ أن أُلقي حتفي فيه ؟
وإن بنحست جميلي حقّه ، وهُنْتُ عليك ،
فهل تمنح إيكاروس ابني أوبته ؟
وان لم تأخذك الشفقة به ، هلاًّ منحناها لأبيه ؟ »
هكذا توسّل دايدالوس .
وكم حاول بعباراته أن يمسّ قلب مينوس فيرقّ .
لكن لا جدوى .
ولما أدرك دايدالوس أن استعطافه عبث ،
ناجى نفسه :
« والآن ، الآن يا دايدالوس

لن يُجَدِّدِكَ القولُ فتَيْلا .
فلتتوسل بتوقّد ذهنك .
ها هو ذا مينوس قد مَلَك البرّ والبحرَ معا ،
فهرو بك برا أو بحرا لن ينجح .
لم يبق أمامي إلاّ الجو .
فلأجهدنّ ، لأشقّ في الفضاء طريقا .
أيا جوبيتر ناشدتك يا أسمى الآلهة
أن تغفر لي جرأة مسعاي ،
فما دار بخَلدي أن ألمس بين النجوم إحدى ديارك .
ما لي من حيلة
إلا أن أتخذ في الجوطريقي ،
لأفرّ فرارا من ذاك الطاغية .
ولو كنت أتحتَ طريقاً لي في نهريستيكس ،
لعبرت مياهه .
هَبْنِي القدرة على أن أسنّ قوانين جديدة
لأغيّر من أحكام أسرتني وطُبعتُ عليها ،
ولأبدع أحكاماً أخرى » .
كم من كارثة فتقت أذهان الناس عن حيل مبتكرة .
أويمكن أن نعقل أن الإنسان يطير ! !
دايدالوس صفّ الريش ، في أبرع صورة ،
وابتكر جناحين كميجدافين ،
وثبت هذا التكوين الهش ، بنحيط من تيل ،
ثم أسال الشمع المذاب على الأطراف لتتماسك .
أنظر ، ما أعجب هذا الخلق !
لقد اكتمل كيانه .
وبهت وجه إيكاروس دهشا ،

إذ ربت على الريش ،
لا يدري أن العُدّة قد صيغت لثُبّت في كتفيه .
وقال أبوه « أنظر هاك سفيني عليها نُقلع ،
ونعود إلى أرضِ جثنا منها .
سنفّر بها من مينوس
إذ قد سُدّت الطرقات جميعا ،
فليس لنا إلّا الجوسيبلا .
خذ صنع يدي هذا
واجهد أن تعلو في الجو ،
وستنجح حتما .
لكن حذار من برج العذراء ،
وكوكبة الجبار حامل السيف
رفيق راعي الشاء .
غُض الطرف ولا تنظر في إحداها واتبعني .
سأكون القائد والهادي ،
فلتمض في إثري غير هيّاب ،
ولتصلنّ بإرشادي في أمّن كامل .
واحذرن أن تقترب من الشمس
فقد ينفد صبر الشمع ، أمام توهّجها .
لن ندنوبجناحينا من سطح البحر
وإلّا لا بتل الريش بزبد الموج .
طُربين الإثنين ،
وخذُ حذرَكَ من ريح منطلقة ،
فإن حملتك الأنسام ،
انشر في التيار جناحيك لتدفعهما .
وثبّت دايدالوس صنْع يديه على كتفي ولده

٦٠

وهو يعيد عليه نصائحه ،
 ويعلمه كيف يحركها
 كطائر أم تدرب فرخها الغصّ على الطيران .
 والتفت فربط إلى كتفيه جناحيه ،
 وأخذ يوازن جسمه
 في حرص ،
 في لهفة وترقب .
 يكاد أن ينخلع فؤاده ،
 والدمعة في عينيه تطلّ فيعجز عن أن يحبسها .
 وثمة تل يشخص عن قُرب ،
 يكاد يداني الجبل شموخاً ،
 ويشرف من أعلى فوق السهل .
 صعداً ، وانطلقاً من قمته
 في رحلة واكبها الشؤم .
 الرحلة بدأت في بهجة ،
 وتقدم دايدالوس يخفق بجناحيه ،
 ينظر من خلف يتابع حركة إيكاروس ،
 يقفواثرأبيه في الخط المرسوم .
 وحين ازداد إيكاروس قدرة ومهارة زايله الخوف ،
 فانطلق جسورا .
 ها هوذا أحد الناس يصيد بشصّ في يده .
 وإذ لمحبهما أذهله العجب ،
 فانفلت الخيطُ من يده اليمنى !
 ها هي ذي جزيرة صاموس عن يسارهما ،
 بعد أن عبرا جزيرتي ناكسوس وپاروس ،
 كما مرّا بديلوس التي آثرها أبوللو .

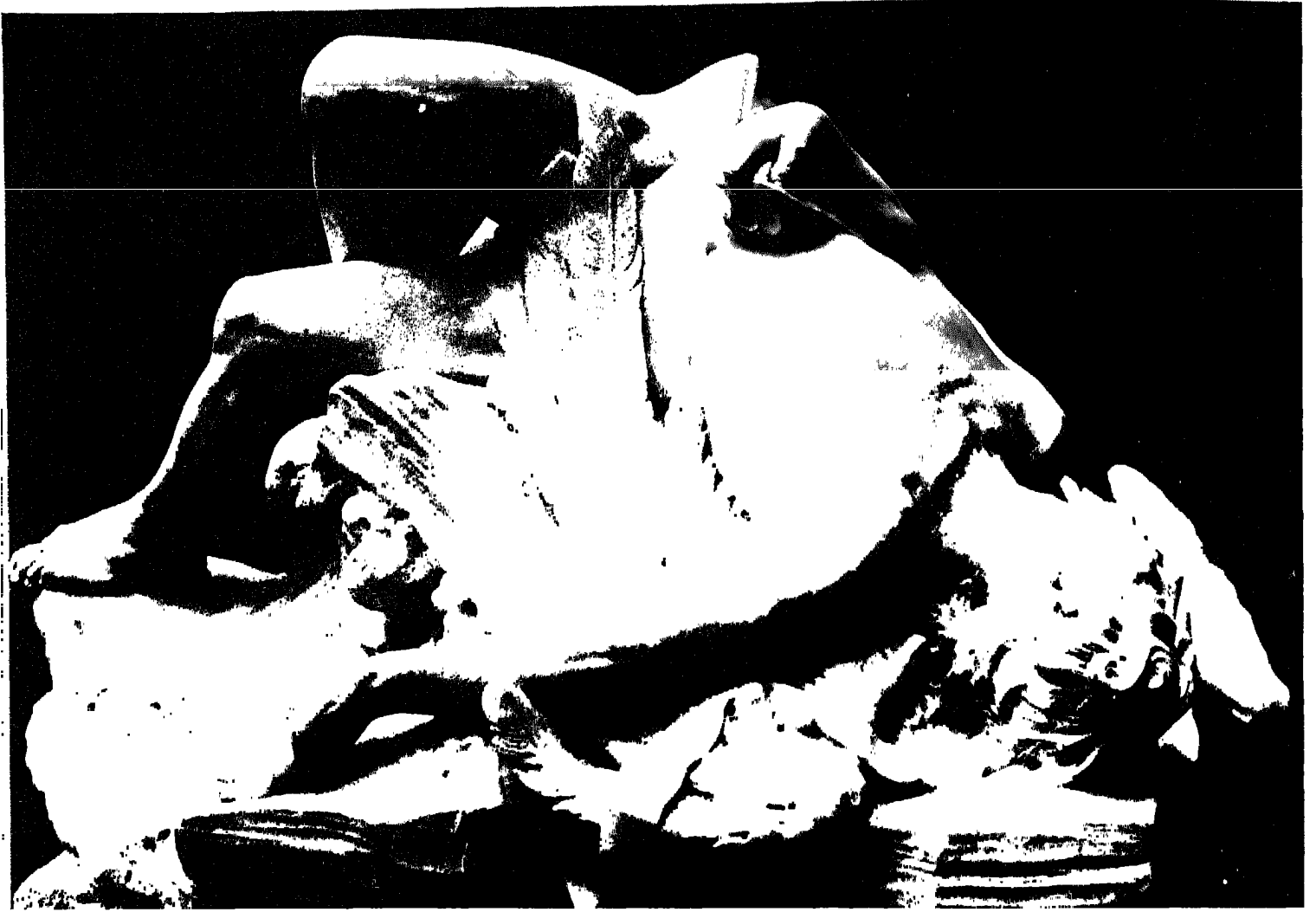
وها هي ذي جزر ليبثوس وكاليمنا ،
تكسوها الغابات ، يُعَشِّيهَا الظل ،
تبدولهما عن يَمْنَة ،
واستياليا تحضنها بحار غامرة بالأسماء .
استيقظ عندئذ في قلب الفتى نزع الشباب ،
وجرؤ فحاد عن مسار أبيه ،
وانطلق إلى أعلى ، أعلى ،
ودنا من رب الشمس ،
فذاب الشمع وانفكّ رباط الريش ،
وأصاب الوهن ذراعيه .
أصبحتا عاجزتين عن السيطرة ،
حتى على النسيم العليل .
وتطلّع فزعا
نحو الماء ، يترأى له من أسفل ،
وهو هناك يترنح في تيه الأجواء ،
وكان طوفان العتمة قد غمّي على عينيه فأظلمتا رعباً .
ذاب الشمع ، ودبّت بذراعيه العاريتين الرعدة ،
وهو يمدّهما ويحاول أن يستند ، ولا جدوى .
لا شيء يستند إليه .
وهوى من حائق ، وهو يصبح :
« أبتاه .. أبتاه .. إني أنحدربعيدا » .
والماء الأخضر ، يبتلع الكلمات ،
لا تكاد تتناثر من فمه حتى يطويها إلى الأبد .
« إيكاروس ، إيكاروس .
ولدي
أين تُراك الآن يا ولدي ؟

أي جَوِّزٍ في أجواز الفضاء يحتويك ؟
وبينا كان ينادي ملتاغا ،
لمح نثار الريش على سطح الماء .
وما لبثت الأرض أن ضمت رفات الشاب ،
وغدت مياه البحر تحمل اسمه .

*** *** ***

مينوس [بجلاله] ،
أخفق في أن يتحكّم بجناحي إنسان ،
بينما أنا أدبر أمري
لأمسك بالإله المجنّح نفسه .
كم يخدع نفسه من يلجأ إلى فنون هايمونيا^٦ ،
فَيُغلب على أمره .
لن يجديك ما تنتزعه من جبين المهر^٧ .
وكذلك أعشاب ميديا ، تعجز أبدا
عن الإبقاء على الحب نابضا .
ومُحال على عوذات جبال مارس^٨ ،
أن تحقّق ذلك حتى لو آزرتها أنغام السحر .
وإلاّ لاحتفظت ميديا ببحاسون بن آيسون ،
وكيركي بأوديسيوس ،
لوجاز الحفاظ على الحب بالتعاون وحدها .

١٠٠



سلوätz : سقوط إيكاروس .
ياذن من متحف اللوفر

لن تفيدك العقاقير التي تورث الشحوب ،
 حتى لو أُسْقِيَتْهَا الفتيات ،
 فقد تشوب العقل وتورثه مساً .
 فلتجئني كل فعل آثم .
 كن جديراً بالحب إن شئت أن تغد محبوباً ،
 ولن تبلغ مآربك بالوجه الوسيم والقوام الرشيق فحسب ،
 حتى لو كنت نيريوس الذي عشقه هوميروس في قديم الزمان ،^٩
 أو الصبي هيلاس الذي اختطفته حوريات الماء الشريرات .^{١٠}
 كن على ثقة بأنك لن تحتفظ بعشيقتك ،
 إن لم تُضِفْ هبة العقل إلى ميزات جسدك ،
 وإلا فلا تعجب إن وجدت نفسك مهجوراً من أجل فتى آخر .
 الجمال ميزة هشة تحبوعلى مر الزمن ،
 ويأتي عليه تعاقب السنين .
 فالبنفسج لا يزدهر إلى الأبد ،
 والزنبق لا يفتّر بالبسمة دوماً ،
 والوردة إذ تدبل ، تخلف الشوك الشائك .
 وعمّا قريب أيها الشاب الوسيم ،
 يكسو الشعر الأشهب رأسك .
 وأكثر من ذلك قرباً ستخدّد التجاعيدُ بشرتك .
 إذن فأبدع لنفسك روحاً مشرقة صينواً لجمالك .
 فهي وحدها تبقى بجوارك ،
 حتى ساعتك الأخيرة فوق المحرقة .
 واحرص على إنماء عقلك بالفنون والآداب ،
 ولا تجعلها في مرتبة أدنى .
 ولا يفوتك علم اللغتين^{١١} على الوجه الأكمل .
 فما كان أوديسيوس وسيماً ، لكنه كان بليغاً ،

فاشتعلت في قلب اثنتين من ربّات البحر
نيران هواه .
آه ، كم حزنّت كاليسولتعهّله فراقها ،
وكم حذّرتّه المياه ،
إذ كانت غير مواتيّة ،
تستعصي على مجدافه !
وكم من مرة ، استعادته مستفسرة عن مصير طروادة ،
سائلة إياه أن يروي لها قصتها .
وكم من مرة أعاد على مسمعها القصة نفسها ،
لكن بعبارات مختلفة .
وسويّا وقفا عند الشاطئ .
وفي المكان ذاته أخذت كاليسو
تساءل عن المصير القاسي الذي حاق بقائد الأودريسين^{١٢} .
وحرك أوديسيوس عصا خفيفة
[شاءت الأقدار أن يكون ممسكاً بها وقتئذ] ،
ورسم بها على الرمل اللين أحداث القصة :
خطّ أسوار مدينة وقال :
« ها هنا طروادة ،
هَبّي هذا جدول سيمويس^{١٣} ،
وتخيّلي أن ذاك معسكري
[وأخذ يرسم سهلاً] .
ثمّة سهل ملطخ بدماء دولون المسفوحة بأيدينا ،
بينما كان هنالك يترقب جياد هايمونيا مشوقاً لأسرها .
وهناك خيام ريزوس السيثوني [الطراقي] .
في تلك الليلة امتطيت الجياد التي غنمتها »
[وبينما كان يصوّر ويقصّ

فاجأتها موجة

طمست قلعة هرجاما ومعسكر الطراقيين

وفيها قائدهم ريزوس]

١٤٠

فتمتت الإلهة كالييسوقائلة :

« ألا ترى إلى تلك المياه تحسبها مواتية لإبحارك ؟

لَتَمَحُونَنَّ كَمَا مَحَتْ

هذه الأسماء العظيمة ؟ »

*** ** *

أي مريدي .

هَلَمْ مَعِيَ إِذْنُ كَاتِنَا مِنْ كُنْتُ .

وحذار من الثقة بجمال يغدربك فيزول عنك .

ولتحرز في باطنك ،

ما يسمو فوق ظاهرك .

وخير ما يستميل الفؤاد تدليلٌ في فطنة ،

فقول خشن لا يورث غير الكراهية والحرب الضروس .

نُبْغِضُ الصَّقْرَ لِأَنَّهُ يَحْيَا شَاكِي السِّلَاحِ ،

كما نكره الذئب لأنها تنقض على القطيع المذعور ،

بيننا أفلت طائر الخطاف^{١٤} من قنص الإنسان لوداعته ،

وطير خاوونيا^{١٥} يلوذ بالأبراج العالية يعيش فيها .

تَبَّأَ لَكَ أَيْتَهَا الْمَشَاجِرَاتُ وَالْمَهَاتِرَاتُ الْمُرِيرَةُ ،

فالحب لا ينمو بغير ناعم الكلم .
دعوا الزوجات يطاردن أزواجهن بالشجار والمشاحنة ،
وخلّوا الأزواج يطاردون زوجاتهم بالسلاح نفسه ،
وعدوا الزوجين في عراقك مستمر .
هذا أخرى بالزوجات ،
فمَهْرُ الزوجة شجار .
أما عشيقتك ،
فلا تُسمعها إلاّ صوتاً حلوّاً بالتدليل والترحيب .
ما جمعكما فوق فراش واحد أمر مشروع ،
فعشقكما يقوم مقام الشرع .
اسع إليها بلطيف القول تمتلك مجامع سمعها ،
ويُمسي مجيئك وتر الفرح لديها .

١٦٠

*** **

ما أتيت ألّفن الأثرياء فن الهوى ،
فالقادر على أن يُعطي في غنى عن فني .
ومن يملك أن يجذب إعجاب المرأة قائلاً :
« إقبلي هذا مني »
لا شك أنه على حظ وافر من القدرة ،
أخلى له الميدان ،

فهو في غير عوز لنصحي .
وما قصدت بحيلي التي أبسطها
خدمة الأثرياء ،
فأنا شاعر الفقراء .
كنت فقيراً حين كنت من العشاق ،
ولإخفاقي في منح الهدايا كنتُ أُنحُ الكلمات .
فليعشق الفقير بحرص ، وليتجنب خشن القول ،
وليتحمل فوق ما يتحمله ثري .
أذكر لحظة شوّشتُ شعرَ حبيبي ،
وكانت لحظة غضب أهوج ،
وكم من يوم سلبني ذاك الغضب سعادتي ! .
ما كان أشدّ عناد أتالانتا النوناكريسية [الأركادية]
ورغم صرامتها ، استسلمت لأحد الأبطال^{١٦} .
ويُروى أن ميلانيون
كان يبكي من قبل مصيره في ظل الأشجار
يتأسى لقسوة قلب المحبوبة .
وما أكثر ما حمل على عاتقه المطواع
شراك الصيد ليرضيها ،
وما أكثر ما طعن الخنزير البرّي الرهيب
برمحه المسدّد .
وقد أحس ميلانيون بجرح السهم
[الذي قذفه به القنطور هيلايوس من قوسه] ،
إلا أن جرح سهم آخر من قوس أخرى
هو الذي أوجعه حقاً^{١٧} .
ومع هذا كله ،
لم أذكر ، بل لم ألحظ ، أني مزّقت قميصها .

ولكنها زعمت أني مَرَّقته ،
فاشتريت لها آخرَ من مالي .
أما أنت فكن أكثر حكمة ،
وتجنّب أخطاء معلّمك .
نُخض معركتك ضدّ البارت
إن شئت ،
ولكن عش مع عشيقه مهذبة
في ظلّ سلام وارف ،
وكل ما يبعث في الحب مرجاً وإثارة .

*** *** ***

إن رأيتهامُعرضةً عن غزلك ،
فليكن قرارك حازماً
وزدّ إلحاحاً ،
وسيّأتي يومٌ تظفر فيه برضاها .
فباللّين يميل لك الغصن المعوجُّ
عن اتجاه جذع الشجرة ،
بينما ينقصم لوأخذته بالقوة .
وباللّين تقوى على أن تسبح في الماء ،
بينما تعجز عن قهر النهر

لوسبحت ضد التيار .

وباللين تروض النمر وأسود نوميديا [ليبيا] .

ورويدا يتطامن الثور لنير المحراث .

أنا لا آمرك بأن تحمل أسلحة القنص ،

أو أن تتسلق جبل ماينالوس^{١٨} ،

أو أن تحمل على عاتقك شرك الصيد ،

ولا آمرك بأن تعرض صدرك لرشق السهام ،

فبادئ فني المتسم بالحرص يسيرة :

إذا قاومتك فتاتك فاخضع لرغبتها ،

فخضوعك سبيلك إلى النصر .

وافعل ما تطالبك أن تفعله

إذا ذمت دُم ،

وإن قرّظت فقرّظ ،

وإذا أقرّت فأقرّ ،

وإن نفت فانف ،

ومتى ضحكت فاضحك معها ،

ولا تنس أن تبكي إن هي بكت .

ودعها تطبع قسّات وجهك بمزاجها .

لو انخرطت في لعب الميسر

تلقى الزهر العاجي بيدها ،

فاحرص على أن ترمي زهرك ، واخسر .

وإذا كنت تلعب معها « بالنرد الأكبر » ،

فلا تطالبها بغرم لو خسرت .

ولا تعلل عن أن يكون رمي الكلاب [الخاسر عند الرومان]

من نصيبك دائماً .

وإذا كان تفوّقك هولعبة اللصوص [الشطرنج عند الرومان] ،

فلا تنس أن تدع عساكرها
 تبید عساكرك فوق الرقعة .
 بادروا حمل مظلتها عنها ،
 وشق لها طريقا وسط الزحام ،
 واحمل تكأة قدميها ،
 وضعها أسفل حافة سريرها
 كي تعينها على الهبوط .
 وسارع إلى وضع قدميها الرقيقتين في الخُفَّ ،
 وكن أول من يخلعه .
 وإن شكت بردا
 فأدفي كَفَّها في صدرك
 ولوارتجفتَ بردا .
 ولا تحسبها ذلة أن تحمل المرأة لها بيدك ،
 يا من وُلدت حُرّاً لا رقيقا
 [هي ذلة حقا ولكنها ذلة تدخل عليك البهجة] .
 فهرقل ، ذلك البطل الذي ظَفِرَ بالتأليه
 بعد أن حمل الطبقات السماوية على عاتقيه ،
 يُحكى عنه أنه حمل سلاّت الخيط لفتيات أيونيا ،
 ويحكى أيضاً أنه غزل الصوف الخام .^{١٩}
 ها هو ذا هرقل البطل التيرينثي
 رهن إشارة آسرة فؤاده .
 فهل تتردد أنت في تحمّل ما احتمل ؟
 إذا استدعتك ،
 أسرع بلقائها في الفورم ،
 وليكن وصولك قبل الموعد .
 هل طَلَبْتُ أن تلقاها في مكان ما ؟

٢٢٠





باسانو : هرقل وأومفالوس .
يأذن من متحف تاريخ الفن بـثينا

إذن فلتهجر ما يُلهيك وَهَرُول ،
 ولا تدع الزحام يعرقل عَدُوك .
 لتؤوبن هي إلى دارها ليلا بعد الوليمة ،
 فإن نادى عبدها ،
 فلتكن ملبى النداء .
 هَبْكَ في الريف بعيدا ، ونادتك .
 إلى ساقبك فاعمد ،
 إذا لم تُسعفك المركبات ،
 فالحب عدو التراخي ،
 ولا يعرقل مسعاك القيظُ ،
 ولا كوكبة الكلب باعثة الظمأ ،

*** *** ***

الحبُّ حربٌ ،
 فابتعدوا أيها الضعاف المتقاعسون .
 ما ارتفعت ألويتنا ، كي يدود عنها الجبناء .
 فالليل والعاصفة والترحال الطويل ،
 والعذاب القاسي ، وكل ألوان الكدّ والعناء ،
 تحتل هذا المعسكر الرقيق اللطيف .
 وكثيراً ما ترى نفسك فيه مغموراً بالأمطار المنهمرة
 من السحب الذائبة في السموات .
 وكثيراً ما تستلقي مقروراً فوق الأرض الجرداء

يُروى أن أهوللو اضطر إلى أن يرعى قطعان آدميتوس^{٢٠} ملك فيراي ،
 وأنه قنع بكوخ متداع يأوى إليه ،
 ومن منا يستنكر أن يحيا مثل أهوللو؟
 لو تُثقت إلى أن تحيا قصة حب تطول وتعمق ،
 فلتطرح الكبرياء .

فإذا حرمتك الأقدار الطريق السوي إلى قلب فاتنتك ،
 أو ألفت بابها موصدا في وجهك ،
 فاهبط إليها من السقف ،
 وانفذ من خلال الكوة .
 وسيسعدُها فعلُك ،
 إذ تعلم أنك خُضت مصاعب جمّة ،
 ذلك عربون تضمن به حبك .

ما كان أيسر لك يا لياندر^{٢١}
 أن تحتمل هجران عشيقتك
 لكنك خُضت أمواج المحيط سباحة
 برهانا على أن قلبك قلبٌ صَبٌّ مدلّه .
 لا يحمرّ وجهك خجلا ،
 وأنت تحاول كسب ولاء وصيفاتها
 الواحدة تلو الأخرى ،
 من أعلاهن شأنا حتى أهون الإماء .
 حيّ كُلاًّ باسمها ، فلن تخسر شيئا ،
 بل أبسط كَقْلِكَ تحتضن أكفهن الهيئة المنبت .
 ولتمنح أيها المحب الطموح حتى العبدَ هدية ،
 مهما صَغُرَتْ في عيد الربة فورتونا إن مدّ إليك يدا ،
 فما أيسر إرضاءه .
 وكذلك فلتمنح الوصيفة هبة في عيد جونوكا پروتينا ،

وهو اليوم الذي ذاق فيه جيش الغال
 مرارة الهزيمة حين خدعتهم ثياب الزفاف^{٢٢}
 صدّقي إن الخير في كسب ولاء البسطاء .
 اجتذب حارس الباب إلى جانبك ،
 وفُزّ بطاعة حارس حجرة نومها لك .
 لا أدعوك إلى أن تمنح فانتك هدايا نفيسة .
 فلتكن هداياك يسيرة ،
 اخترها بذكاء وحكمة .
 فإذا كانت ضيعتك خصبة
 وفروع أشجارها مثقلة بثمارها ،
 أوفد عبدك ، بسلال من بواكير المحصول ،
 يبسطها بين يديها .
 وإن كنت بلا ضيعة ،
 ادّع أنك صاحب ضيعة ،
 جاءتك الفاكهة منها ،
 ولو أنك في الحق شاريها
 من فاكهيّ « بالطريق المقدس » بروما .
 أرسل لها العنب أو الكستناء
 « التي ولعت بها أماريلليس^{٢٣} »
 وإذا سئمت فانتك الكستناء ،
 فأهدي إليها حمامة أو عندليباً تأنس به ،
 يذكرها بأنك مهوم دوماً بهواها .
 ويني أن مثل هذه الهدايا
 يرسلها أيضاً من يأمل في ميراث عجوز عجفاء ،
 لكنني أستنكر هذا النوع من الكرم الوضيع .
 هل أنصحك بأن ترسل أشعاراً عاطفية ؟

وآسفاه ،
 فالشعر عظيم ،
 لكن لن يُلْتَقَى ما يليق به .
 قد تَمْتَدَح قصيدك !
 لكن أؤمن ما تنشده ، هو ما تهديه إليها .
 فلا تعجب إن نال الهمجي الأحق
 إعجاب فتاتك ما دام غنيا .
 العصرُ يقينا عصرُ الذهب .
 الذهبُ أبو الألقاب ،
 هو الفائز بالحب .
 أي هوميروس
 إن جئت وفي أعقابك ربات الفن جميعا دون هدية
 فلتعزب عنا يا هوميروس .
 ومع ذلك منهم من يتثقفن وإن كن نُذرة ،
 ومنهن من لم يتعلمن ، ويحاولن التظاهر بالعلم .
 عليك بمدح كلا الفريقين ، في قصيدك .
 ولا تجزع لضحالة شعرك ،
 فجمال الإلقاء يحيله في آذانهن تغريدا ،
 حسناً أو ممجوجاً كان قريضك .
 إلقاءك هو ما يجذب أسماع المرأة .
 أفضل ما يُطربها في شعرك
 قتراه عطاء منك مهما عدته ضئيلاً ،
 هو أنك تَنْظِمُ فيها الشعر دون سواها .
 قد تُضمِر أن تمنحها خدمة ،
 قتراخ إلى أن تطلبها منك .
 هبْ مثلاً أنك عزمت على أن تعتق عبداً لك ،

٢٨٠

فأوعز له أن يسعى إليها
كي تتوسط لديك لتحريره .
وإذا شئت الغفران عن عبد مذنب ،
فدبر أمرك كي تغدو هي مصدر هذا الغفران .
اجعلها تجني دوما ثمرة ما تنوي عمله ،
وامنحها فضل فعال الخير التي تؤديها أنت .
هيء لها الفرصة كي تبدو هي ذات السلطان عليك .
وإذا كنت شغوفا باستبقاء عشيقتك ،
أوهمها أنك مفتون بجمالها .
إذا ارتدت ثوبا من أرجوان صور ،
قل : « ما فاق أرجوان صور شيء » .
وإن لبست ثوبا من نسيج كوس ،
فلتقل إن في أزياء كوس وحدها الرونق الممتع .
هل تلبس فاتنتك رداء ذهبياً ؟
إذن قل لها إنها عندك أغلى من الذهب .
وإذا ارتدت ثيابا من صوف ،
فأغرق في الثناء على الصوف .
وإذا وقفت أمامك عارية إلا من قميصها ،
صيح : « لَأَنْتِ تُشْعِلِينَ النَّارَ فِي جَسَدِي » !
ولكن فلتضرع أيضا في همس ،
أن تحذر من برد يؤذي جسدها .
هب أنها تصفف شعرها ،
فبادر بمديحه .
أوتسوي بالمكواة جدائلها
فلتطر تلك الجداول .
عبّر عن اعجابك بذراعيها

وهي تلّوح بهما راقصة ،
وأشدّ برخامة صوتها وهي تغني .
وإذا كفت عن الغناء تحسّر .
ولوأتاح لك مشاركتها فراشها ،
فأطنب في امتداح هذا الفراش .
وبصوت يرتجف تأثراً قل :
« ما أحلى الفردوس الذي أعددت لي في قُربك » .
ساعتها لو كانت أكثر عنفاً من ميدوسا الوحشية ،^{٢٤}
لغدت هادئة طيّعة بين يديك .
أطالبك ألاّ يفتضح رياؤك ،
أو تخون نظراتك كلماتك .
فحين يستتر فنك يغدوناجعا .
وإن كَشَفَتْ هي عن مكنونه جرّ عليك العار ،
وسلبك ثقتها إلى الأبد .
وفي الخريف عندما يبلغ الموسم ذروة جماله ،
ويميل لون العنب إلى حمرة ما يحويه من نبيذ ،
في ذاك الوقت
الذي قد نتجمد فيه حيناً من البرد ،
ونذوب فيه من القيظ حيناً آخر ،
ما أكثر ما يحمد الجسد في ذلك الجو المتقلب ،
فلتتمنّ أن ترعى عشيقتك صحتها .
وإن حدث وأصابتها وعكة من تقلبات الطقس ،
أفصح لفتاتك عن حبك وحنانك .
واغم سائحة ،
وابذر ما ستحصده - فيما بعد - بمنجلك بوفرة .
وحذار أن تضيق ذرعاً بمرض حبيبك أو تبرّم .

٣٢٠

ولتكن كُفُّكَ وحدَها هي التي تهدهدها .
ولتلمحك حين تبكي ،
ولا تَمَلِّ الإفراط في تقيلها .
أطلق عبرات يشربها فيها الظامئ .
ارفع صوتك مراتٍ مُقسماً بهواك لها . .
لا تتردد في قص أحلامك البهيجة عليها ،
كي تملأ قلبها أملا .
وارسل لها امرأة عجوزا تَطُوف حول فراشها بالميخرة ،
تُظْهر مضجعها بالدخان الكبريتي وبالبيض^{٢٥} .
لوبلغت في سعيك هذا المبلغ لاستيقنت من حبك .
فكم أدّى هذا الأسلوب إلى الفوز بميراث .
ولا تسرف في الاهتمام بمريضتك حتى لا تسأمك ،
فللنفاق حدود أيضا .
ولا تمنع عنها الطعام ،
ولا تناولها كتوس العقاقير المُرّة ،
ودع هذا لغريم .
ثم إن الريح التي دفعتك
ساعة خلّفت الشاطئ وأخذت في نشر شراعك ،

كارافاجيو : ميدوسا .

يأذن من متحف اوفيتزي بفلورنسا



لن تكون هي الريح التي ستدفعك وسط البحر الشاسع
 إن الحب رهيف هش ساعة مولده .
 لا يشتد بغير ممارسة واعية بالخبرة . ٣٤٠
 اختر بعناية نوع غذائه ،
 وسيصبح بمرور الزمن قويا .
 خذ مثلا ذاك الثور الذي يملوك اليوم رُعبا .
 في الماضي كم ربت أنت على ظهره ،
 أيام كان عجلا صغيرا .
 وهذي الشجرة التي تحتمي اليوم في ظلها ،
 كانت فيما سلف عُودا فحسب .
 والنهر الطاغي فيضهُ ،
 لم يك غير جدول نحيل عند المنبع ،
 والآن ضخم بروافد لا تُحصى .
 فابذل سعيك في أن تتوثق بينكما الألفة .
 صدّقي ، لا يقوى على العادة والألفة شيء .
 وفي سبيل الفوز بقلبها ،
 لا تترك أي عناء يُثنيك .
 كن دوما منها محطّ السمع والبصر ،
 وليطالعها وجهك
 آناء الليل وأطراف النهار .
 ولكن ما إن تثق
 أن الوقت قد حان لتشتاقلك إن غيبت ،
 فأمض عنها قليلا ،
 كي يبتّ غيابك في نفسها القلق .
 أهجرها آمادا غير طويلة ،
 فإن التربة التي تريحها قليلا تزداد خصبا ،

وتمنحك البذور التي تنشرها فيما بعد .
 والأرض التي تجف فتتشقق ،
 تشرب الماء نهمة إذا انهمر المطر .
 فطالما امتد بقاء ديموفوون إلى جوار فيليس
 كان حبها له فاتر^{٢٦} .
 وما كاد يُنحر إلى بلاده ،
 حتى اشتعل حبها له اشتعالاً أهلكها .
 وحينما هجر أوديسيوس الماكر زوجته پنيلوبي
 كابدت عذاب الانتظار والشوق .
 كما أنك يا لاوداميا
 قد بكيت كثيراً هجر پروتيسيلوس من آل فيلاكوس^{٢٧} .
 ومع ذلك فاحرص ، على أن تكون هجرتك قصيرة ،
 فالحب يتناقص كلما طال زمن الفراق .
 والمحبة الغائب يفقد مكانه ،
 ويحتله محبوب غيره .
 حين ارتحل منيلاوس
 سئمت هيلينا مضجعها الخالي من الرفيق ،
 فنشدت الدفء والسلوى في أحضان أحد ضيوفها .
 ويلك يا منيلاوس ما كنت يوماً بالغبيّ الأحمق !
 كيف أبهرت وحدك ،
 وخلفتَ زوجكَ وضيئفها معا تحت سقف واحد ؟
 أيها المعتوه ، هل تودع يمامة بين مخالب صقر ؟
 هل تثق في ذئب الجبال يحرس حظيرة الأغنام ؟
 والأفعى التي يدوسها الرحالة خطأ ،
 كلاهما أقل افتراسا
 من امرأة تفاجئ أخرى في فراش زوجها ،

٣٦٠

فيشوه وجهها من عنف النقرة .
لحظتها ، قد تقبض على السيف أو على الصاعقة إن قدرت ،
أو أي سلاح في متناول يدها ،
وتتناسى الحيلة ،
وعلى غريمتها تنفض ،
كأنها إحدى كاهنات باكخوس المتوحشات ،
استحثتها قرون باكخوس الإله الآووني^{٢٨} .
لقد ثارت ميديا الهمجية لخيانة زوجها
وامتهانه شريعة القران ،
فقتلت أطفالها .
وثمة أم أخرى بشعة ،
هي طائر الخطاف الذي تراه هناك :
تطلع ... فصدرها مخضب بالدماء^{٢٩} .
هكذا تتداعى أوثق العلاقات الغرامية ، بل أصلها عودا .
فليحترس الزوج الحذر
[فلا يثير في عشيقته نوبات طائشة من الغيرة والحقد] .
لا تحسب أني أتمثل الواعظ المتزمت ،
وأحكم بأن تقصر حبك على واحدة !
لا ... وقتك الآلهة هذا الشر !
فحتى العروس الفتية تعجز عن أن تلتزم
بقصر حبها على رجل واحد .
خذ حظك من المتعة ،
ولكن غش خطاياك اليسيرة بقناع من الحشمة ،
فلا تكشف عن سعدك مزهواً ،
وحذار أن تمنح امرأة هدية
تنبئ لغيرها عن مصدرها .

وبدّل مكان اللقاءات وزمانها ،
حتى لا تَفْجُوكَ أخرى من بين عشيقائك .
فما كانت هيلينا آئمة ،
ولم يكن الزاني بها آئماً ،
ما أتى غير ما كنت ستأتيه أنت ،
أو أي إنسان آخر
يواجه الموقف عينه .
إنك بنفسك هيأت مناخ الزنا لهما
بتهيئة الزمان والمكان ،
ولم تفعل هي ، إلا ما أوحيت أنت به .
أو كنت ترقب غير ما كان ؟
الزوج غائب ، والضيف حاضر ،
وما كان شاباً جلفاً ،
وهي تملّ النوم في فراش خال من الرفيق .
فلير منيلاوس بن أتريوس ما يراه ،
أما أنا فأُبرئ هيلينا من كل لوم .
كل ما فعلته أنها غنمت فرصتها ،
حين لازمها عاشق لا تُعوّزه الوسامة .

الخنزير البري المفترس يصرع كلاب الصيد الواحد تلو الآخر ،
مدافعاً عن حياته في سورة غضبه .
واللبؤة حين تُرضع أشبالها ،
وراجع حين تكتب رسائل الغرام ما دونته بعناية ودقة ،
فمنك نساء يفهمن من الرسائل أكثر مما تبغي قوله .
فإن خالفت شرعة فينوس ، شئت عليك حرباً عادلة ،
وردت لك الكيل بالكيل ،
وأصابتك بآلام عانتها في الماضي ،
حين خرقت هي نفسها شرعتها .

* * * * *

طلما ظل أجامنون حفيد أتريوس قانعا بزوجته واحدة ،
صانت عفتها .

٤٠٠ ولكنّها اندفعت للعار حين اكتشفت إثمه .

إذ سمعت أن الكاهن خريسيس أمسك بعصاه ،
وربط العصابة المقدسة حول جبينه ،
وأمسك في يده غصن الغار ،
والحف يتوسل لتعود إليه ابنته ،
وما أجدها توسّله .

وسمعت أيضاً يا بريزيس عن أسطورة خطفك ،
وقد أدمى قلبك الحزن ،

كما نُبِئتِ بتلك الخصومات المشينة ،
التي من أجلها امتدت الحرب .
ومع ذلك لم يزد ما سمعته على شائعات حملها الرواة إليك .
أما كليتمسترا فقد رأت بعيني رأسها بنت بريام .
رأت كيف أصبح [أجاممنون] أسرها أسيراً لأسيرته .
لحظتها قررت ابنة تنداريوس
أن يمتلك [عشيقها] إيجيسثوس قلبها وفراشها ،
ودبرت الثأر الآثم لجريمة زوجها المهينة .^{٣٠}

* * * * *

إن افتضح أمر غرامياتك المستورة رغم جهودك في اخفائها ،
فتمسك بالإصرار على إنكار جريمتك .
ولا تسرف في التذلل ،
ولا تغال في نفاقك ،
فهذهي سمة المذنب .
ولا يقصر جهدك مع ذلك عن أن تظفر بسلام يكلل نصرك ،
إذ تُقنع عشيقتك بأن لا أصل لريبتها .
وقد ينصحك البعض بأن تستخدم أعشاباً لإثارة « قدرتك » .
ذلك في رأيي سُم مهلك .
وقد تجد البعض يخلط ببذور القراص اللاذعة الفلفل ،
والبابونج الأصفر في مسحوق يسكبه في كأس من النبيذ المعتق .

ما ترضى الربة [فينوس] ساكنة سفوح جبل إريكس^{٣١} الظليلة .
أن تُثار فيها نشوتها بمثل هاتيك الحيل .
وخير لك أن تأكل بصل ميجارا الأبيض .
مدينة الكاثوس البيلازجي ،
وأن تتناول أيضا بعض الجرجير المالح المقطوف من الحقل لتوّه .
ولك أيضا أن تلتهم البيض وشهد جبل هيميتوس ،
والنقل وثمره الصنوبر الشائكة الأوراق .

* * * * *

لماذا لجأت إلى فنون السحريا إيراتو؟
فعلى مركبتي الآن أن ترتد إلى معبرها الأول ،
بعد أن انحرفت عنه قليلا .
فن لحظة نصحتك بستر خياناتك العاطفية ،
أما الآن فاني أعكس نصحي ،
وأحدوك بأن تُزهي في كل مكان بغزوات غرامك .
ولا تتهمني بالرأي المتقلب ،
فلا إخالك تجهل أن السفينة المقوسة لا تدفعها دوما الريح نفسها
فها هي ذي الفلك تدفعها حيناً ريح الشمال الطارقة ،
وحيناً آخر ريح الشرق .
وكم من مرة تمتليّ أشرعتها بنسيم الغرب أوتنبعج بريح الجنوب

ها هو ذا قائد المركبة يرخي الأعنة حيناً ،
وحيناً آخر يكبح الجياد الجامحة في حذق ومهارة .
فُرب امرأة لا تُثيبُ على الطيبة والحياء ،
وتفتر شهوتها إن لم تلق غريمة .
والسعادة في الحب قد تُسكرنا ،
وتعوق سبيل الإخلاص المطلق ،
فالوهج الخافت ينطفئ إذا لم ترعه ،
ويذوي تحت رماد أشهب يتراكم فوقه ،
فإن ألقيت قليلاً من كبريت ،
شبّ اللهب وعاد متوهجاً يلمع .
وكذلك إن سكن القلب لاطمئنان مفرط ،
ينأى بها عن همٍّ أو قلق ،
فأثّر فيها ضرام الحب جديداً ،
واجرحها بالسنن الحاد .
دع عشيقتك تشهد ما تتعذب به ،
وما يُذكى في قلبها الفاتر لها يتجدد .
خلّها تشحب حين تقع على دليل خيانتك .
سعيدٌ ذلك الرجل الذي تبكى بسببه امرأة مطعونة ،
سعيدٌ مرات أربع بل مرات لا حصر لها .
ما إن تسمع أذناها ما تكره حتى يزايها الرُشد ،
تعي التعمسة عن الكلام ،
وتفقد بشرتها اللون .
والهفتاه ! كم تُقت إلى أن أغدو ذاك الرجل ،
تشدّ الحبيبة شعره غاضبة .
والهفتاه ! لو أني كنت من تخمش بأظافرها وجنتيه .
والهفتاه ! لو أني كنت من تتطلع إليه من خلل الدمع ،

أو تحديق فيه بعين ثائرة ،
 وأن أكون من تعجز عن أن تحيا دونه ،
 وتتمنى في الوقت نفسه لو تملك ذلك .
 قد تسألني عن طول زمان تركها فيه نهبا لعذاب يقهرها ،
 وأجيبك : أقصر ما أمكنك زمان بكائها ،
 فالفترة إن طالت قد تُذكي ثورتها .
 اقطع تلك الفترة . قبل بلوغ الذروة ،
 وتقدم بذراعيك تضمّان جيدها المتألق ،
 واحتو عشيقتك الباكية في أحضانك
 قبلها بينا هي تبكي ،
 وامنحها مُتَع فينوس بينا هي تبكي .
 بعدها سيسود سلامٌ ، ٤٦٠
 وبهذا وحده تقوى على طرد الغضب من صدرها .
 فاحكم أنت إذن متى يبلغ الغضب ما يكفي .
 وفي الوقت عينه حين تبدو هي كأنها عدوتك اللدود ،
 أنشد فوراً معاهدة عناق الودّ ،
 ذلك ما يحيلها لطيفة ودیعة .
 وهكذا ترفرف ربة الوفاق على ميدان القتال بعد نهاية المعركة .
 صدّقي هنا تُولد ربة الوفاق .
 فها هي ذي الیهامات التي كانت منذ قليل
 تخمش إحداها الأخرى بالمنقار
 تتآلف متعانقةً ،
 وهديلها يعمرُ بعبارات العشق .
 فبادئ ذي بدء كان العالم كتلةً أشياء في غير نظام أو تنسيق ،
 وكانت ثمة وحدة في المظهر للنجوم والأرض والبحار .
 وما لبثت السماء أن ارتفعت فوق الأرض التي طوّقتها البحار ،

وتقهقر الفضاء إلى مكانه ، وبسط للطير ذراعيه ،
وتلقت الأدغال وحش الحيوان .
أما أنتِ أيتها الأسماك
فقد اخترت الماء المناسب .
عندها كان البشريهمون على وجوههم في أرض جرداء .
لم يملكوا غير قوى حيوانية وأشكال فظة .
كانت ديارهم الأدغال ، وقوتهم الأعشاب ،
وأوراق الشجر مضاجعهم .
وما أطول ما جهل الإنسان أخاه .
ثم انبثقت تلك اللذة الساحرة التي ترقق المشاعر الوحشية ،
حين تلكأ ذكر وأنثى معاً في بقعة مستورة ،
تُرى ماذا فعلا ؟
لقد علّم كلُّ صاحبه دون معلّم بينهما .
وهكذا من غير فن أو حذق ،
نجحت فينوس في خلق الفعل الممتع .
فللطير أليف يعشقه ،
وفي أعماق البحار تجدد السمكة ذكراً يطفئ غلة شهوتها ،
وتتبع الأيلة أيلها
ويضم الثعبان الأفعى ،
ويلتصق الكلب بالكلبة
وقد غرق في الشهوة .
وكم تسعد النعجة حين يعتليها كبشها ،
كما تهتز البقرة منتشية بثورها .
وتحمل العنزة الفطساء على ظهرها سيدّها التيس آكل القَدَرِ ،
وتستثار الفرسُ سُعاراً
فيفد إليها من أماكن نائية الجوادُ الفحل ،

٤٨٠

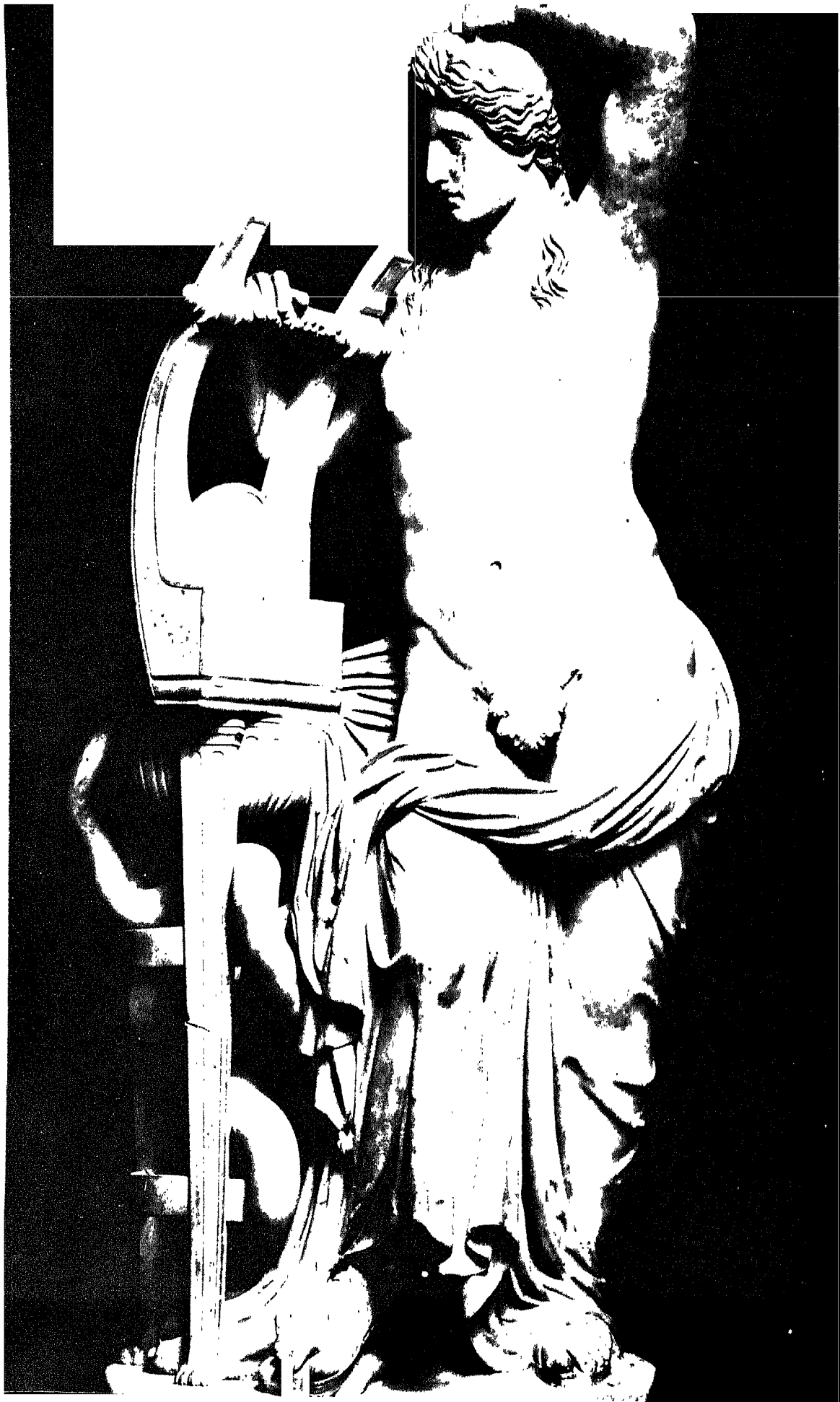




ولوحالت دونهما الأنهار .
فلتسعد إذن ولتتفاءل ،
وعليك بهذي الوصايا الناجعة ، لتهدي من سورة أنثى غاضبة .
فهذا العلاج هو الأوحـد
الذي يفتأ الغضب الوحشي .
وهذا الدواء أنفع بكثير من تلك العصارات
التي أوصى بها الطبيب ماخاوون^{٣٣} .
إذا أخذتَ به عُدت إلى حُظوتها
ولو كان فراقك لها قد طال .

* * * * *

وبينا كنت أردّد لخي فاجأني الإله أبوللو ومثل أمامي
قابضاً على قيثارته الذهبية ، يغمز أوتارها بإبهامه ،
وييده الأخرى غصن الغار ،
وكان الغار كذلك يكلل شعره المقدس .
ها هو ذا يدنومني .
ما أجدره شاعراً يتأمله الناس .
قال يحدثني : « هَلَمْ إِلَيَّ يا أستاذ الحب الشارد .



واصحب تلامذتك إلى معبدي .
 هناك سيشهدون نقشاً مدونا
 يأمر كل إنسان أن « يعرف نفسه »^{٣٣} ،
 فمن يعرف نفسه يكن فطنا في حبه ،
 وهو وحده من يعلم كيف يؤدي عمله على أحسن صورة .
 ٥٠٠ فإن كان أحدكم وسيماً أبيض البشرة ،
 فليكشف عن كتفه حين يستلقي على فراشه ،
 وإن كان محدثاً لبقاً فليحرص على ألا يصمت أبداً ،
 وإن أجاد الإنشاد فليطلق حنجرتَه بغناء شعبيّ ،
 وإن وهبه النبيذ المرح فليشرب حتى يشمل .
 وسواء أكان خطيباً أم محدثاً أم شاعراً يتقمّصه شيطان القريض ،
 فليحذر أن يخلط شعره أوثره بحديث الغزل .
 هكذا تكلم فويبوس .
 وجدير بكم أيها العشاق أن تدعونا لما قال ،
 فما نطق شفتا الإله بغير الحق .
 ولنعد الآن إلى حديثنا
 ندنو مما كنا فيه .
 فمن يستهدي الحكمة في عشقه يطرق أبواب النصر .
 وإذا لجأ إلى فني أصاب حتماً مرماه ،
 فالحقل الذي يُنثر فيه الحبُّ
 لا يعطي دوماً غلّة ما يُنثر فيه ،
 كما أن الرياح لا تدفع في كل حال السفن الحائرة ،
 ونصيب العشاق من المباهج قليل ، ومن القلق كثير .
 فلتأهبوا بشعور متدفق لتخوضوا غمار التجربة [الكبرى] .
 شتّى هي آلام الحب ،
 كفصائل الأرناب البرية ترعى فوق سفح جبل آثوس ،

أو كَأَسْرَابِ النحل فوق جبل هيبلا ،
أو كعدد ثمار الزيتون يحمله شجر باللاس الرمادي الأزرق ،
أو كعدد الأصداف الملقاة على شواطئ البحار ،
والسهام التي تجرح القلوب عديد سموها .

٥٢٠

قد يُبلغونك أنها رحلت
وتلقاها مصادفة .
ولكن - مع ذلك - صدّق أنها رحلت حقاً ،
وأن رؤيتها خداع نظر .
وقد تذهب ليلة موعدك فيفاجئك الباب الموصد في وجهك .
لا تعباً أن يحدث لك ذلك ،
واستلق أمام الباب ولو فوق ترابه .
بل قد تأتيك وصيفتها ،
تسخر في خيلاء قائلة :
« ما ذا يفعل هذا الجلف ،
« أيحاصرنا ويسدّ علينا الباب ؟ »
لحظتها لا معدى لك ،
عن أن تتوسل لفتاة قاسية القلب ،
وللباب الموصد في آن .
لاطف كلاً ، ما استطعت سبيلاً ،

وَأَلْقِ إِكْلِيلَ الْوَرْدِ عَنْ جَبِينِكَ وَشُدَّهُ إِلَى الْبَابِ .
فَإِنْ لَأَنْتَ عَشِيقَتِكَ فَاْمَضْ إِلَيْهَا ،
وَإِنْ اسْتَعْصَتْ فَاهْجِرْهَا .

فَالْعَاشِقُ الْمَهْذَّبُ يَسْتَهْجِنُ أَنْ يَكُونَ مَلْحَاحًا .
لَا تَتَحَ لِعَشِيقَتِكَ أَنْ تَقُولَ :

« أَفِي ، مَا عَدْتُ قَادِرَةً عَلَى الْفِكَاكِ مِنْهُ » ؟
وَاعْلَمْ أَنَّ تَوْفِيقَكَ لَنْ يَطَّرِدَ فِي كُلِّ مَنَاسِبَةٍ ،
تَرْكُنَ فِيهَا إِلَى وَسَامَتِكَ وَحَدِّهَا .

وَلْتَحْتَمِلْ سَبَابَ الْمَرْأَةِ
أَوْ صَفَعَاتِهَا ،

فَلَيْسَ فِيهِمَا مَا يَشِينُ .

أَمَّا تَقْبِيلُ قَدَمَيْهَا الْبُضَّتَيْنِ فَلَنْ يَدْنُسَكَ .
لَيْمَ أَتَلُكَا عِنْدَ هَذِهِ التَّوَافَةِ مِنَ الْأُمُورِ ،

بَيْنَا تَتَطَّلَعُ نَفْسٌ إِلَى مَا هُوَ أَسْمَى ؟

فَلَا تُنْشِدُنَّكُمْ إِذَنْ مَا هُوَ أَجْدَى .

أَنْصَبُوا إِلَيَّ وَهَبُونِي انْتِبَاهَكُمْ كُلَّهُ ،

فَأَنَا مُقَدِّمٌ عَلَى أَمْرِ جُلُلٍ .

كُلُّ مَا يَسْتَحِقُّ الْعَنَاءَ عَسِيرُ الْمَنَالِ ،

وَفِيَّ يُمَلَى عَلَيْكُمْ السَّعْيُ الدَّؤُوبُ .

اصْبِرْ عَلَى مَنَافَسِكَ ، وَلَسَوْفَ تَفُوزُ عَلَيْهِ ،

وَتَغْدُو بَطْلًا مُتَّصِرًا

فَوْقَ قَلْعَةِ چوپيتر الجبار ،

٥٤٠

أَوْ كَالْقَنْصَلِ الظَّافِرِ فَوْقَ جَبَلِ كَآپِيتُولِينُوسِ .

صِهْ . فَلَنْ يَحْدُثْكَ غَيْرِي بِهَذَا الْحَدِيثِ

سِوَى أَشْجَارِ بَلُوطِ الْبِيلَازْجِيينِ ٣٤ ،

وَمَا أَنْبِيَّكَ بِهِ إِنْ هُوَ إِلَّا مَبَادِيءٌ فِي .

إن لَوَحَت فتاتك إلى منافسك ، تحمّل وتحمّل بالصبر .
وإن خطّت له الرسائل ، فحذار أن تمس لوحات الكتابة .
دعها تغدو وتجيء دون حساب ،
فمن الأزواج كثرة يمنحون زوجاتهم مثل هذا الحق ،
بعد أن يغشى عيونهم الكري الحاني ،
فيؤازر الزوجات على خداع الأزواج .
ومع هذا أعترف لكم
أنني لست ممن أدركوا حد الكمال في فني هذا .
فإذا تُراني فاعلاً ؟

عسيرٌ عليّ أن أتعظ بنصحي .
فلو أني لمحت غريماً لي يلوّح لعشيقتي أمام عيني ،
أو تظن أني أحتمل هذا دون أن أطلق العنان لغضبي الفائر !
أذكر أن زوجها قبلها أمامي مرة ،
فكم ثارت شكاتي من تلك القبلات !
وكم فاض حبي بالنقمة والثورة !
وتكرر ذلك لي مرات .
فخليق بالحصيف أن يسمح لسواه
بأن يزور عشيقته أنّى شاء ،
ولكن الأمثل أن يتجاهل ما يحدث .
دعها تسترّ على خياناتها ،
حتى لا تعتد أن تبعث الاحمرار
في وجنتيها خفراً حين تشاء ،
كلما اعترفت لك بما اقترفت .

أيها العشاق
أحذركم أن يفجأ أحدٌ منكم عشيقته في أحضان عشيق آخر .
دعها تسترسل في غوايتها كما تهوى ،

وهي تخال أنها قد خدعتك .
إن مباغتتك لها مع من يعشقها
سوف تؤجج نار غرامهما ،
ولسوف يحاولان بعد مباغتتك إياهما ،
أن يتلمسا سبلاً أكثر أمناً
لوصّل ما ساقهما إلى هذا المأزق . ٥٦٠
ثمة قصة تُروى في أنحاء العالم كله ،
هي قصة مارس وفينوس ،
فاجأهما زوجها فولكانوس (إله النار والحدادة) في وضع شائن .
تحكي القصة أن الإله مارس قد تدلّه حباً في الربة فينوس ،
وفقد رشده ،
فاستحال رب الحرب عاشقاً فحسب .
أما الربة فينوس
فما كان الحياء من صفاتها ،
وما من إلهة سعدت أكثر منها بفؤاد يقطر رقة .
وما أكثر ما لانت لتوسّلات جراد يقوس [مارس] ..
وكم سخرت تلك الماجنة من ساقى زوجها ؟
وكم ضحككت من أديم يديه الملفوحتين من أثر النار ،
المخشوشنتين من طول الكد ؟
وكم حاكت ساخرة زوجها فولكانوس بين يدي مارس ؟
ولقد كانت فاتنة خلافة وهي تمثل هذا الدور .
في البدء نجحا في إخفاء لقاءاتهما ،
يقترّان الزنى في خفّر وحياء .
لكن إله الشمس وشى بهما لفولكانوس ،
وكشف له عما تقترّفه زوجته .
وهل من مخلوق يجد سبيلاً لخداع الشمس ؟

آمِ يا إله الشمس ،
ما أسوأ المثل الذي تضربه للناس بذلك !
كان أجدر بك أن تطلب من فينوس إسعادك بمفاتنها ،
فتشتري رضاها بسكوتك عنها .
نصب فُولكانوس حول الفراش شباكاً غاية في الدقة
تحفَى على كل الأعين ،
وأسرَّ إلى زوجته « إني راحل إلى ليمنوس » .
والتقى العشيقان في الموعد ،
ووقعا في الشراك عاريين . ٥٨٠
ساعتها ، نادى فُولكانوس الآلهة جميعاً ،
وكان مشهد الأسيرين منظرًا جديرًا بالرؤية .
ويحكي الرواة أن فينوس كادت لا تملك حبس عبراتها ،
وما ملكا إخفاء وجهيهما ،
أو ستر عورتيهما بأكفهما .
وتضاحك إله من الآلهة الحضور وقال :
« يا أيها الإله مارس الباسل ،
إذا كانت قيود الحب تثقلك ،
فماذا عليك لو نزلت لي عنها ؟ »
وبعد قليل استجاب فُولكانوس لرجاء الإله نبتون ،
وأطلق سراح الأثمين .
فهرول مارس صوب طراقيا ،
أما هي فأتجهت شطر پافوس .
وأنت يا فُولكانوس ،
ماذا جنيت من هذا كله ؟
لقد كانا في الماضي يخفيان عشقهما ،
واليوم يستمتعان بنشوة الحب علانية ،

وطرحا عنهما كل شعور بالحياء .
 ما أحملك ،
 وما أكثر ما اعترفت بتعجلك فيما صنعت ،
 وكم كررت ندمك على مهارة يدك .
 أي مريدي ،
 لتكن لك عظة في هذه القصة ،
 فلا تنصب الشراك كما فعل فولكانوس مع فينوس
 قبيل مفاجأته لها ،
 ولا تربص لخطف الرسائل المكتوبة سرا .
 أترك هذه الحيل للأزواج الشرعيين
 الذين التمسوا شرعيتهم من طقوس النار والماء^{٣٥} .
 وإني إلى هذا أذكركم ،
 أني لا أشجعكم أن تتلمسوا متعاً
 غير تلك التي لا يحرمها شرع .
 ففي لعبتنا هذه ،
 فلنتجنب صاحبات التثورة الطويلة .
 ومن منكم يجرؤ أن يعلن للجهلة الكافرين
 أسرار طقوس الربة سيريس ،
 أو تلك الشعائر العظمية التي ابتدعت في صاموطراقيا ؟
 حقا إن الترام الصمت فضيلة يسيرة ،
 ولكن البوح بما نعلم
 أنه يحسن أن يبقى سرا ،
 أمر لا يجدر أن نفعله ،
 فالمهانة فيه تحقيق بنا .
 وإنه لجزاء حق ، أن يمضي تانتالوس الثرثار
 محاولاً قطف التفاحة المدلاة من فرع الشجرة سدى ،

هيمزكبرك : فولكانوس يضبط فينوس ومارس متلبسين .
باذن من متحف تاريخ الفن بڤيينا



وأن يبقى ظمآن والماء من حوله .
 ورثة كثيرًا تنهى تابعيها عن إفشاء أسرار طقوسها ،
 وأنا أنذركم إنذارًا جادًا ،
 ألا تدعوا ثرائارًا يدنو من محرابها أبدًا .
 حقًا إن أسرار فينوس لا تخفى في صندوق^{٣٦} ،
 والصنوج البرونزية لا تصك صكًا مفرقة^{٣٧} .
 ففي أعيادها لا يكون شيء من ذلك ،
 فهي تفتح أبواب محرابها لكل إنسان ،
 على ألا يفشي أسرارًا
 يكشف له عنها .
 ما أكثر ما تعرّت فينوس ،
 ولكنها مع ذلك كانت تنحني قليلًا ،
 وتنحني عورتها بيسرها^{٣٨} .
 الحيوانات يغشى بعضها بعضًا أي كانت ،
 وعلى مرأى من الناس جميعًا ،
 وما أكثر ما تلفت العذراء الحيّة
 وجهها عن ذلك خفرا .
 أما نحن فديدننا أن نلجأ إلى المخادع والأبواب الموصدة ،
 وأن نستر عوراتنا بالثياب ،
 وأن ننشد الظلام .
 نأتي ما نبغي .
 فإن لم نجد ، فحيث الظل الدامس .
 أو ما هو دون وضح النهار .
 في الماضي حين لم يكن هناك سقف
 يحجب أشعة الشمس ولا انهمار الأمطار ،
 وكان للناس في شجر البلوط

٦٢٠

القوت والمأوى والملبس ،
في ذاك الوقت كانت ملذات الحياة لا تُبَاشَرُ علنا .
بل في أعماق الغابات وبطون الكهوف .
ما كان أشد شعور الحياء عند البسطاء .
أما اليوم فنختال بمغامراتنا الليلية ،
وإن الناس لعلّى أهبة أن يدفعوا أبهظ ثمن ،
لا لشيء إلا لأن يزهووا بمآثمهم .
أجل .

أليس من أسلوب العصر أن نعرض فتاة
لنحدثها ، كي نقول :
« أُرأيتَ إلى هذه الفتاة ؟
إنها هي الأخرى من حظّياتي »
أليق بك أن تفترى على فتاة
لم تلمسها أناملك ؟
ما أهون هذا كله
إلى ما سأقصه الآن :

هنالك قومٌ يختلقون على النساء قصصا ،
ولو أن ذلك كان حقا لأنكروه في إصرار .
وما أكثر ما يدّعون أن ليس في الوجود أنثى لم يطؤوها .
وإذا سلم منهم جسد المرأة لم يسلم منهم اسمها .
فإذا برئ جسد المرأة من تلك الفرية ،
ظل اسمها مثقلا باللائم المزعوم .
اذهب إذن أيها السجّان البغيض ،
وأغلق الباب دون عشيقتك ،
بل أوصده بمائة ميصاد ،
ولكن ما نفع هذا كله

٦٤٠ إن ظل من يدنس اسمها طليقا خارج بابها ،
موهما الناس بما لم يحدث أبدا إلا في زعمه ؟
وأنا لا أتكلم عن الحب الحق
إلا بلسان يقصد في الحديث ،
وأوثر أن أخفي ملذاتنا المستورة
وراء حجاب لا ينفدُ شيءَ عبْرَه .

* * * * *

وأقول لكم خاصة
لا تحدثوا المرأة عن عيوبها .
فكم من عاشق بلغ مناه حين التزم الصمت المجدي .
فپیرسیوس ، ذاك البطل المجنح القدمين ،
لم يعب أندروميذا لسُمره بَشَرَتِها .
أما أندروماخي ، فقد أجمع الكل على أنها فارعة القامة ،
غير أن زوجها هيكتور وحده ،
رآها معتدلة القامة .
جاهد أن تألف ما لم تألفه .
حينئذ سوف تُطبقه في يُسر ،
فالألفة تسيف كل ما هو مستغرب ،

والزمن يُجَمِّلُ ما قد تستقيح .
 لكن للحب في أوله حساسية مرهفة .
 هَبْ مثلاً أنك طعمت شجرة
 بغصنٍ أخضرٍ غض ،
 وهب أن النسيم هزّ براعمه النابتة ،
 إذن لذوي الغصن الغض .
 لكن لو وهب الزمن الشجرة عُمرًا
 لصمدت للريح ،
 ومنحتك الثمار المستولدة .
 الزمن جدير أن يمحو كل شيء ،
 حتى عيوب الجسد .
 لن يضيرنا غدا ما كان يوما ما شائبة .
 وخياشيم الصبي لا تطيق رائحة جلود الثيران ،
 وبعد سنين يَمُرُّن الصبي وتستنم خياشيمه ،
 فلا تجد الرائحة كريهة .
 أنت قدير على مداراة الشوائب باللفظ المعسول .
 قد تُلْقَى سيدة بَشَرَتُهَا أَعْم من قطران إليريا [ألبانيا] ،
 فقل لها : « يا خمريّة اللون » .
 وإن كانت حَوْلَاء فقل لها : « ما أشبهك بفينوس ! » .
 وإن كانت شقراء ، فقل : « ما أشبهك بميرفا » .
 وإن كانت نحيلة عن مرض قل : « يا هيفاء القد » .
 وإن كانت قصيرة قل لها : « كم أنت خفيفة ! » .
 وإن كانت بدينة قل : « إن جسلك بض » .
 قنّع كل عيب بما يقاربه من حسن .

*** **

لا تسلبها عن عمرها ،
 ولا في عهد أي من القناصل وُلدت .
 أترك ذلك « للسُّنُور »^{٣٩} الصَّارم ،
 وخاصة إن كانت قد تعدَّت زهرة العمر ،
 وبدأت تنزع بعض الشعيرات البيضاء .
 أيها العشاق ،
 لا تحسبوا أن تلك السن تخلو من الملذات .
 هي حقلٌ ، عليك أن تبذُر فيه ،
 وقريبا تجني منه الحصاد الوفير .
 تقبَّل المشاق ما سمحت فتوتك وشبابك ،
 فعاجلا ستلحقك الشيخوخة الصامتة الخطوات .
 ولتشق البحار بالمجداف أو التربة بالمحراث ،
 أو فلتخض المعارك الوحشية بذراعيك المفتولتين ،
 وكذلك فلتسخر فتوة الشباب وجهدك الدؤوب في ساح النساء .
 فهذه أيضا حربٌ تتطلب ما فيك من قوة وبسالة .
 ثم كم للناضجات من خبرة تثير شبق الرجل .
 وهن بخبرتهن قدرات على أن يعوّضن ما سلبتهن الأيام ،
 وما أبرعهن في التصابي .
 لا تقنط ، فما أعرفهن بمواقع نزواتك ،

٦٨٠

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٦٩٣

كل هذا موفورٌ فيمن تخطّين السنوات الخمس مرات سبعا ،
والطبيعة بمثله أبخل علي من هنّ غريرات .
من يهوى أن يشرب لا لشيء غير الشرب ،
فليكرع النبيذ الجديد غير المعتق .
أما أنا فأميل إلى خمر غنية ناضجة معتقة في قِدْرٍ ،
من عهد قناصل الماضي البعيد .
فما يستطيع شجر الدلب
أن يحجب الشمس المحرقة بفروعه ،
إلا بعد سنين طويلة من نموّه .
وكذلك الحقول التي حصدت وشيكا
تُدْمِي الأقدام العارية إذا وطئتها .
عجبا ! أو يمكن أن تفضّل هيرميونيه^١ على هيلينا ؟

٧٠٠

وهل يستقيم القول بأن جُورجِيه كانت أجمل من أمها ؟
كائنا من كنت ،

إن أحببت أن تنال من مفاتن أنثى ناضجة
فإنك لبالغ مُنَاك إن تَقَمَّصت الدور الذي سأمليه عليك .
ها هوذا الفراش شاهدٌ على كل ما يقع فوقه .
ها هوذا قد استقبل العشيقين .
مهلاً ربة الشعر ، لا تقتحمي باب مخدعهما الموصد .
فكلاهما يعرف كيف يرتجل أبلغ الخطب ،
دون حاجة إلى عونك .

٧٠٦

فقد يماً طَبَّقَ هيكتور المقدام هذا الأسلوب مع أندروماخي ،
فلم يك مقداما في ميدان القتال فحسب .
وأخيل الجبار سار على النهج نفسه .
مع أسيرته بريزيس فتاة ليرنيسوس ،
فبعد أن أناخ بثقله فوق العدو ،
ساخ الفراش الوثير تحته من ثقله .
بهاتين الكفتين رضيت يا بريزيس أن يداعب أخيل جسديك ،
ويداه - كما كنت تعلمين - مخضبتان بدماء مواطنيك الفريجيين .
أخبريني أيتها الماجنة ألم تكن ذروة متعتك ،
أن تتحسس أطرافك كفاً قاهر شعبك ؟
خذوا عني ،
لا تتعجل في الحب النشوة .
هي هَوْنَا تُستدرج ،
فترث لتزيد المتعة .

١٧٢

حتى إذا أدركت ما تتمنى المرأة أن تلمسه منها
فلا تدع الحياء يردك عما تفعل .

٧٢٠

وحين تلمح عينيها وقادتين راجفتين ،
وكأنهما صفحة ماء صاف تعكس بريق الشمس ،
عندئذ ، سترها مقبلةً في دَلٍّ ،
متممة في وَلَهِ ،
مطلقةً زفراتٍ في نبرات رخيمة ،
لا تنطق إلا بما يوائم فعلَ الحب .

٧٢٦

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٧٣٢

** ** ** **

ألا هل بَلَغَتْ رسالتي ؟
 إذن فلتهبوني سعفَ النخيل أيها العشاق ،
 مُثنين عليّ شاكرين لي .
 ولتتوجوا هامتي المعطرة بأكاليل الآس ،
 فبقدر ما كان بود اليربوس شهيراً بين الإغريق بطّبه ،
 وأخيل بذراعه المفتولة ،
 ونسطور برائع حكمته ،
 وبقدر ما كان كالخاس عليماً بالمستقبل وطقوس القرايين ،
 وأچاكس بن تيلامون باستخدام السيف ،
 وأوتوميدون بقيادة مركبات القتال وسباقها ،
 هكذا أنا أعرف العشاق .
 أيها الرجال تَغَنّوا بمدحني ،
 ومجدوا اسمي
 نبياً عظيماً .

*** *** ***

٧٤٠ ولتغنّ بنو الإنسان باسمي في أرجاء الدنيا .
 ها أنذا قد وهبتكم سلاحكم ،
 كما وهب قولكانوس أخيل سلاحه .
 فليكتب لكم الظفرُ بسلاحي ،
 كما كُتِبَ لأخيل الظفرُ .

وعلى كل عاشق قوي بنصلي
على أن يقهر إحدى الأمازونات ،
أن ينقش فوق غنائه
« كان ناسو . . . معلّمي » .

أما أنتن أيتها الفتيات ،
فتضرّعن إليّ لكي أسوق لكنّ النصح .
مهلاً . . .
فلسوف أحسن احتفائي بكن
فيما سيأتي من صفحات .

الكتاب

الثالث



هَآ أَنذَا قَدَ مَنَحْتَ الْإِغْرِيقَ سَلَاحَا ،
كِي يُنَازِلُوا بِهِ الْأَمَازُونَاتِ .
وَقَدْ آتَى لِي يَا پَنَشِيلِيَا ،
أَن أَمَدَّكَ بِالسَّالَاحِ لِمُقَاتَلَةِ الْإِغْرِيقِ .
هَيَّا خُوضِي ومَحَارِبَائِكَ الْبَاسِلَاتِ مَعْرَكَةً مُتَكَافِئَةً ،
فَالنَّصْرَ حَلِيفَ لِمَنْ تَحَابِيهِ ثِينُوسُ السَّخِيَّةِ ،
وَذَاكَ الصَّبِيِّ الَّذِي يَحْلُقُ فَوْقَ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ .
فَلَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَن أَعْرِضَ كُنَّ عُرْزَلَا مِنَ السَّالَاحِ .
أَمَامَ عَدُوِّ كَامِلِ الْعُدَّةِ ،
وَمَا يَلِيقُ بِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ نَصْرُ كَهَذَا النَّصْرِ .

ها أنذا قد منحت الإغريق سلاحا .
كي ينزلوا به الأمازونات .
وقد آن لي يا پئشيليا
أن أمدك بالسلاح لمقاتلة الإغريق .
هيا خوضي ومحارباتك الباسلات معركة متكافئة ،
فالنصر حليف لمن تحاييه فيتنوس السخية ،
وذاك الصبي الذي يحلق فوق العالم بأسره .
فليس من العدل أن أعرضكن عزلا من السلاح
أمام عدو كامل العدة ،
وما يليق بكم أيها الرجال نصر كهذا النصر .
وربّ أحدكم يقول :
« لم تزود الثعبان بسم جديد ؟
ولم تقدّم الحمل للذئب المفترس ؟ »
وأقول لكم :

لا تعمّوا باللوم النساء كافة ،
فقليلات منهنّ يحقّ عليهنّ هذا اللوم ،
ولتحكموا على كل سيدة على حدة .
وإنّ حقّ لابن أترىوس الأصغر [منيلاوس] أن يتهم هيلينا ،
ولابنه الأكبر [أجامنون] أن يتهم أختها كليتمسترا ،
وإذا كانت مكيدة إيريفيليه^٢
قد دفعت زوجها أمفياراووس إلى العالم السفلي
من قبل أن يحين أجله ،
تسحبه جياده المنطلقة إلى حيث يلقي الرّدى .
إنّ صحّ ذلك كله ،
فهل نسيت أنّ بيلوبى ظلت عفيفة ،
رغم هيام زوجها أوديسيوس على وجهه سنين عشرا ،
واشترأكه في الحرب عشر سنين أخرى ؟
وإليكم لا وداميا^٣ ،
التي يُروى عنها أنها صحبت زوجها پروتيسيلائوس إلى منيته ،
ففاضت روحها قبل حينها بزمان .
والسيستيس التي فدت زوجها أدमितوس بحياتها ،
فعاد هو إلى الحياة ،
وحملت جثتها هامدة إلى المحرقة .
وقديماً ألقت إيفادني بنفسها في المحرقة صائحة :
« خذني معك يا كاپانيوس ،
كي أخلط رمادي برمادك »^٤ .
الفضيلة يا صحاب امرأة ،
ثوباً واسماً ،
فلا عجب إذا مالت إلى ذرايها .
لا عليكنّ فني فني غني

عن مثل هذا البذل النبيل ،
 وقاربي يشقّ البحار بشراع صغير ،
 وتعاليمي لا تنطوي إلا على الحب اللّاهي .
 سأعلمكن كيف تبلغ المرأة أن تكون محبوبة ،
 فالنساء عاجزات عن مقاومة سهام الحب ولهيبة ،
 أما الرجال فما أظن السهام تنفذ إلى أعماق قلوبهم .
 وما أكثر ما يلجأ الرجل إلى الخداع ،
 بينا الفتيات اليافعات يندرن أن يلجأن إليه .
 سأل عن أخبارهن ،
 فلن تجد من يبتهن من قد تتهمها بالتدليس .
 فحجاسون الغادر هجر ميديا وكانت حُبلى ،
 وضمّ إلى صدره [كريوسا] عروسا جديدة .
 وأنت يا ثيسبيوس مالك من فضلٍ
 في نجاة أريادني من برائن جوارح الطير ،
 حين مضت شاردة على الشاطئ المهجور .
 سلوا لماذا سُمّي هذا الطريق :
 « طريق السبل التسع ؟ »
 وسلوا هذي الغابات ،
 لم ذرفت أوراقها دموعا على فيليس ؟
 وأنت يا ديدو ،
 ألم يهجر ك ضيفك أينياس رغم ما ذاع عنه من وفاء ،
 ولم يخلف لك شيئا سوى السيف الذي به ذقت الردى ؟
 آه أيتها التعسات الحظ ،
 أو تبغين أن أكشف لكنّ عن سبب شقائقن ؟
 إليكن جوابي :
 لقد فشلتن في أن تكن محطّ العشق ،

فقد أعوزتكن المهارة والفن ،
وفيهما خلود الحب .
ولولا وصية فينوس لي أن ألقنكن المهارة والفن ،
لبقيتن ترفلن في الجهل .
فقد جاءني فينوس نفسها ،
ومثلت أمام عيني قاتلة :
« ما خطيئة النساء العُزل من السلاح ،
حين يستسلمن لرجال مسلحين ؟
لقد خصصت نشيدين كاملين لتلقين الرجال فنون الحب ،
وها هن النساء يقصدنك الآن طالبات العون :
فستيسبخوروس أول شاعر هجا هيلينا عروس ثيرايني ،
ما لبث أن أظن في مزاياها بقيثارة تسيل حناناً .
وإذا كنت من أعرف حق المعرفة ،
فلست من يظلم النساء ، وبخاصة الغيد المهذبات .
ويقيني أنك ساع إلى مرضاتهن ما دمت حيّاً »
هكذا تكلمت فينوس .
ثم قطفت من الإكليل الذي يتوج شعرها
ورقة آس ، وبعض ثمار أعطتني إياها .
وما كدت أمسك بها حتى أحسست بقدرتها الإلهية ،
فتألق في السماء ضوءاً ساطعاً ،
وانزاح عن صدري عبء ثقيل .
أيتها الجميلات أنصتن إلى نصحي ،
ما دامت فينوس هي من أوحى إليّ بالكلمات .
فنصيحتي أن تظفرن بميزاتكن^٧
في ظلال الخفاء وحماية القانون .
جدير بكن أن تذكرن الشيخوخة المرتقة ،

٦٠ حتى لا تضيع سدى منك ساعة من زمن .
امرحن ما وسعكنّ المرح ،
وما دمتن في ربيع العمر .
السنون تمرّ كما يمرّ الماء في انسيابه ،
وما ارتدّت قطّ موجة مضت .
والساعة التي تنقضي عصيّ أن تعود .
عشّن سويكاتكن ،
فالعمر ينزلق على إيقاع سريع ،
وما يأتي به الزمن ليس في روعة ما ذهب .
هذي النباتات التي ترونها ذابلة ،
رأيتها ذات مرة حوضَ بنفسج يانع ،
وهذا الدغل من الأشواك ،
جُمع لي منه قديماً إكليل زهر بهيج .
أنّ يا من توصدين بابك دون عشاقك ،
ليأتينّ اليوم الذي تستلقين فيه طوال الليل على فراشك
عجوزاً عجفاء ترتجفين من الوحدة والزمهرير .
لا يصطخب عراك العشاق
خلال الليل على بابك ،
ولا تُنثر الورود في الفجر التالي
على أعتابك .
ويلاه . ما أسرع ما تشيع الغضون في الجسد
كخطوط المحراث .
وما أسرع ما تهجر حُمرّة الورد
بشرة ذباك الوجه القاتن !
وتلك الشعيرات البيض ،
التي تُقسمين أنها شاعت برأسك منذ الصبا ،

عما قريب ستغشي رأسك كله .
 الأفاعي وهي تنضو سيلخها
 تنضو معه شيخوختها .
 والأيل يلقي عنه قرنيه القديمين ،
 فينبت مكانهما قرنان بديلان .
 أما مفاتن البشر فتدبّل
 دون أن نملك استردادها .
 لتقطفن الزهرة إذن ،
 ٨٠ فلأها - حتى لو لم تقطفها - إلى الذبول .
 إلى ذلك كله أضفّن شهور الحمل والوضع ،
 فهذهي كلها تنال من عمر الشباب .
 ما أسرع ما يهرم الحقل الذي يُجهد زرعاً .
 أي دياناً يا ربّة القمر ،
 لا يحمرّ خدائك خفراً ،
 وقد وقعت في حبال أنديون^٨ .
 وأنت يا أورورا ربّة الفجر
 يا ذات الأنامل الوردية ،
 لا يصيبك الخجل
 إذ راودت كيفالوس^٩ عن نفسه .
 وأنت يا فينوس !
 يا من تبكين أدونيس بلا انقطاع ،
 هلاً أنباتي عمن أولئك أنياس وهارمونيا^{١٠} ؟
 لكنّ في الإلهات عبّرة أيتها النساء الفانيات ،
 فلا تحجبن مفاتنكن عن عشاقٍ جوعي ،
 حتى لو خانوا .
 فمِمّ خسارتكن ؟

المتعة ؟

أثرها باق لا يبرح .
لو اختطف العشاق منكن ألف متعة ،
فما وجه الخسران ؟

..... ٩١

..... ٩٣

هل يخبو وهج الشعلة حين تُشعل أخرى منها ؟
والبحر الواسع ، هل يتأثر إن غرّفنا منه حفنة ماء ؟
رُبَّ امرأة تُجبه رجلاً وتقول :
« لا ينبغي لامرأة أن تُدعِنَ لرجل »
ليكن ردك في حسم : « ولم لا ؟ »
ماذا تخسر ؟

هي لا تخسر شيئاً
أكثر من حفنة ماء ،

من بحر واسع .
ما أردت حديثاً يحطّ من أقدارك
فكل ما أنشده أن أنهاك عن خسارة موهومة ،
فلا خسارة أن تُعطين .

ومع ذلك كله ،
فمرّسّاتي لا تزال ملقاةً بالمرفاً .
ليت النسيم الشفيف يدفع قاري ،
فعمّا قريب ستدفعه ربح عاتية .

١٠٠

بدء المنطلق أن تُعتنِ بجسدك .
إن باخخوس يمنح أطيب أنبلته
من كرم لقيّ أجلّ عناية .

فإذا سَرَّحت الطرف في حقل نال حظاً من رعاية ،
لوجدت المحصول وفيراً .
الجمال هبة السماء ،
وما أقل من يزدهين به !
الكثرة منكن يفتقرن إلى هذه الهبة الكبرى ،
غير أن رعاية الأجساد تحفظ لكنّ ملاحظة المظهر .
والإهمال يذهب بالجمال ،
حتى لو كنتن في حلاوة ربة جبل إيدا (فينوس) .
ولو لم تكن نساء الزمن الغابر بأجسادهن ،
لما فُزن بعشاقهن .
فلا عجب إذا ارتدت أندروماخي ثوباً خشناً ،
فلم تكن غير زوجة لمحارب عاتٍ .
استحلفتك بالآلهة ،
لو كنت زوجة أچاكس
وعليه جلود ثيران سبع ،
أو كنت تلقينته في حُلّة زاهية ؟
طابع الماضي بساطة فطرية ،
أما اليوم فتنعم روما المزدهرة بثراء وفير ،
ينهمر عليها من أنحاء العالم المقهور .
أنظري اليوم إلى تل الكايتولينوس ،
واذكري ما كان عليه سالفاً .
إذن لخُيل إليك أنه قد كُرس قديماً لچوپتر آخر ،
غير چوپتر هذا العصر !
جديرة قاعة مجلس شيوخنا اليوم بأعضائه المبجلين ،
بينما كانت تحت حكم تاتيروس^{١١} مزيجاً من القصبات والطين .
إليك تل الهالاتينوس ،

الذي يترّبع فوقه فويبوس وقادتنا في شموخ وجلال ،
ماذا كان من أمر هذا التل ١٢٩

١٢٠ مرعي ثيران حتى جرى عليه المحراث .
فليسعد غيري بأن يجترّ ذكريات الماضي ،
أما أنا فأهني نفسي ،
لأنني لم أُولد في عصر سابق ،
فهذا العصر يلائم طبعي ومزاجي .
لست أردّد قولِي هذا ،
لأن الذهب المستعصي
يُستخرج اليوم من جوف الأرض ،
والصّدف يُجمع من شواطئ شتى ،
والجبال تتضاءل لِمَا يُنزع منها من رخام ،
ولأن أسوار الآجر
تسدُّ فيض المياه الداكنة الزرقة ،
ولكني أقول قولِي لأن الحضارة باتت شامخة ،
وعادات الريف المتوارثة عن الأجداد ،
قد بادت

* * * *

أقول لكنّ

لا تثقلن آذانكن بنفيس الأحجار ،
مما يجمعها الهندي الباهت البشرة من أعماق الماء الأخضر .
ولا تخطرن مُثقلات بثياب مطرّزة بالقصب .
كم يعترينا الاشتزاز من ذياك الثراء تحاولن اغراءنا به ،
فالأناقة وحدها تشدّنا إليكن .
لا ترسلن شعوركن غير منسّقة ،
فلمسة من أيديكن كافية ،
تُضفي الجمال عليه أو تحرمه منه .
ولا يذهب بكنّ الظن ،
أن هناك أسلوباً فريداً للتجميل ،
فلتختر كل منكن ما يناسبها ،
ولتلمس من مرآتها النصيح .
فلن تحتاج صاحبة الوجه البَيّض
لغير مُفرّق بسيط في شعرها ،
ذلك ما كانت تفعله لاوداميا .

١٤٠ وصاحبة الوجه المستدير تكتسب جمالاً

بكعكة صغيرة من الشعر فوق رأسها ،
تُظهر أذنيها جليّتين .

ولترسل واحدةً شعرها على كتفها ،

هكذا فعلت يا فويبوس

بيننا تعزف على القيثارة .

ولتضفر أخرى جدائل شعرها

على نسق ديانا ،

بيننا تطارد الوحوش المرتعدة .

يليق بهذه الفتاة أن تدع شعرها ينساب طليقاً ،

وبتلك أن تحبس غداثرها المصفورة في عناية .
 وهذه ينفعها مشط من ذبل السلحفاة الكيليني^{١٣} ،
 وتلك تدع شعرها يتموّج تتموّج البحار .
 وإن عجزت أنت عن إحصاء ثمار البلوط ،
 ونحل جبل هيبلا وضواري جبال الألب ،
 فأني لكذلك عاجز عن تعداد تصميمات الأزياء .
 وكل يوم يمضي يضيف مزيداً من حُلَى التجميل .
 ما أنسب الشعر المرسل لفريق من السيدات ،
 يبدو لك وكأنه مُهمل لم تمسه يد ،
 والحق أنه مُشط منذ هنية على هذا النحو .
 الاصطناع هنا مقصود محاكاة للإهمال .
 وعلى هذه الصورة بدت إيولي لهرقل ،
 حين علق بها بصره أول مرة في المدينة المقهورة ،
 فصاح : « لتكونن هذه المرأة من نصيبي . كم وقعت من نفسي .. »^{١٤}
 وهكذا بدوت أيضاً يا أريادني ،
 عندما حملك باكخوس على مركبته ،
 بينا تنطلق حناجر الساتير صارخة : « إيهوي ! » .
 آه . ما أحنى الطبيعة على جمالكن
 حين تسخو فتستر عيوبكن بوسائل شتى . ١٦٠

* * * *

يعركنا الزمن ويقذف بنا في مسراه ،
 ويساقط شعرنا
 تساقط الأوراق عندما تهزّ ريح الشمال الغصون .
 قد تصبغ المرأة شعرها بعصارات جرمانية ،
 وتُضفي عليه لوناً أزهى ،
 وما أكثر النساء اللاتي يتبخترن بجداول شريتها
 فبالمال لا تتوانى المرأة عن أن تبتاع شعراً بديلاً ،
 وتحت أبصارنا يُشترى هذا الشعر بلا خجل ويبيع ،
 في حضرة هرقل وأمام جوقة العذارى^{١٥} .
 أما الثياب فإليكن رأيي فيها .
 ما حاجتي إلى حواشي الثياب ؟
 أو إلى ذاك الصوف الذي بأصباغ صور
 يبدو في حمرة الخجل ؟
 أى جنون ذلك الذي يدفعكنّ
 إلى السير محمّلات
 بثرواتكن كلها فوق أبدانكن !
 بينا تستطعن بأبخس الأثمان
 ارتداء ثياب مختلف ألوانها .
 هذا ثوب فيروزي في لون السماء الصافية
 حين تكفّ رياح الجنوب عن دفع السحب الحُبلى بالأمطار .
 وإليك الأصفر الضارب إلى لون الذهب ،
 لون فروة الكبش الذي أنقذ ذات يوم
 فريكسوس وهيلي من شرّاك إينو^{١٦} .
 وذاك الأخضر خضرة ماء البحر ،
 إخاله ثوباً للهوريات .
 ١٨٠ ويحاكي هذا الثوب الزعفران ،

لون رداء « أورورا » ربة الفجر
عندما تشد جيادها الناصعة البياض إلى مركبتها ،
وهي لا تزال نديّة .
وإليك لون شجر الآس من پافوس ،
والجَمَشَت الأرجواني ،
والورد الأبيض ،
ولون ريش الكركي الطراقي ،
« ولا ننسى لون كستنائك أو لوزك يا أماريلليس »^{١٧} .
ولا ذلك الفراء الذي أسبغ عليه الشمع لونه^{١٨} .
وبقدر ما تتعدى ألوان الزهور التي تتفتّح براعمها
حين ينصرم الشتاء المتلكئ الخطوات ،
وبقدر ما تتعدّد محالِق الكروم
تحت دفء أنفاس الربيع الحانية ،
تتعدّد ألوان الصوف المصبوغ .
اختاري لونك الأثير بعناية ،
فلونُ بعينه لا يتفق وجميع النساء .
فالبَشَرَة البيضاء بياض الجليد ،
يلائمها الرمادي الداكن ،
وقديماً كانت تتحلّى به بريزيس
يوم وقعت في الأسر سيّئة .
والسمراء يناسبها الأبيض ،
فما أشد فتنتك يا أندروميذا في ثوبك الناصع ،
وأنت تهبطين على شواطئ جزيرة سيريفوس .

* * * *

كدتُ أنذرك
 أن تتفادى نثن « الجدّي الريفي »
 أن يلحق إبطيك ،
 أو أن تتركى الشعيرات الخشنة تسلبك نعومة ساقيك .
 ولكني لست معلم فتيات جبال القوقاز ،
 ولا نسوة شاطئ نهر الكايكوس^{١٩} .
 ما أغناني عن أن أرشدكنّ إلى الحفاظ على نصاعة أسنانكن ،
 وعلى نقاء ثغوركن بالماء النقي العذب .
 وأنتِ أعلم كيف تكسين بشرتك بالمساحيق ،
 فالفن قدير على إكساب بشرتك نضارة
 ٢٠٠ إن تَوَاتَى الدُمُ في عروقكنّ عن بلوغها .
 وبالفن أيضاً تزججين حاجبيك ،
 وتخفين عيوباً تشوب وجنتيك .
 ولا تَخْشَى أن ينطفئ نالِقُ عينيك ،
 أن تكحليهما بمسحوق الرماد ،
 أو بزعفران شاطئيك يا نهر كيدنوس^{٢٠} .
 وفي كتيب صغير أنهكني تصنيفه ،
 عدّدت أنواع الأصباغ التي تذكي من ففتك^{٢١} .
 عليك به ،
 فقد تعثرين فيه على ما يستنقذ جمالك من العيوب ،
 فإن فنوني لا تتقاعس عن خدمتك .
 وفوق هذا أقول لك ،
 لا تدعي أحقاق المساحيق بادية للعيون فوق منضدتك ،
 فخير لجمالك أن يكون الفن الذي يعالجه مستوراً .
 بل من ذا الذي لا ينفر من طلاء يطغي ويلطّخ ملامح وجهك ،
 يتراكم طبقات قد تميع من فرط ثقلها ،

هابطةً ترقد في صدرك الدافئ .
ما أبشع رائحة دهون تصاعد من فراء شاة لم تُغسل ،
وخير أنواع الدهون تأتي من أثينا ٢٢ .
وحذار أن تستخدمني مرهماً من نخاع أنثى الأيل ،
ولا أنصحك بأن تنظفي أسنانك على ملأ .
حقاً أنه يُكسبك جمالاً ،
لكن ما أقبح أن تفعل ذلك علانية .
٢٢٠ إليك تماثيل ميرون تنبض بالحركة ٢٣ ،
وتطوّف شهرتها آفاق الدنيا .
لقد كانت ذات يوم جمادا وكتلة صماء بلا روح .
والذهب يُصهر في البدء ثم يُشكّل خاتماً ،
والثوب الذي ترتدينه كان من قبل كتلة صوف عَفِنة .
وجواهرك قبل صياغتها كانت شائهة خشنة ،
وها هي ذي الآن نفائس جذابة ،
نُقشت عليها فِينوس العارية ،
تبدّت في صفحتها ،
تعصر جدائلها المندّاة بزبد البحر .
إذا جلستِ إلى منضدة الزينة فأشيعي
أنك مستغرقة في النوم .
فخير لك ألا تقع عليك عينٌ
حتى تفرغي من آخر لمسة .
لماذا تكشفين لي عن سر وضاء وجنتيك ؟
أتعدين وسيلة توصلين بها باب مخدعك ؟
ولم تعرضين عملاً لما يكتمل ؟
فثمة أشياء لا يجوز كشف أسرارها للرجال .
لو لم تتكلمي الكثير مما تعملين ،

لأثارت أعمالك اشمئزاز الكثيرين .

أنظري إلى تلك المشاهد المتألقة بلون الذهب ،

في المسرح المزخرف .

لن تخفى عليك رقة طبقة الذهب التي تغلف الخشب ،

يُحال بينها وبين الناس حتى يتم لصقها ،

فهيئة الجمال لا تكون إلا في غيبة الرجال .

مع ذلك لا أنهاك عن تمشيط شعرك في حضرتهم ،

بحيث تسترسل غداثه متموجة فوق منكبيك .

وأنصحك ساعتها ألا تفقدي اترانك ،

ولتكن وصيفتك في مأمن من سورة غضبك .

٢٤٠ فكم استقبح سيدة تخمش وجه تابعتها بأظافرها ،

أو تحزّ بالدبوس ذراعيها .

أيقني أنها تلعنك وهي تسوّي شعرك ،

بل تذرف الدمع والدم على جدائلك البغيضة .

ولتلتزم صاحبة الشعر القبيح جانب الحذر ،

وتولى بابها حارساً أميناً ،

يحول بين الرجال والدخول .

أو فلتدلف إلى معبد « الإلهة الطيبة » ٢٤١ .

حيث تجد من يسوّي لها شعرها .

ذات يوم بغتُ عشيقتي في مخدعها ،

فاختلط عليها الأمر ،

ووضعت جُماع الشعر على الضد من وُضعته .

ألا ناشدتُ الآلهة

أن تجنّب حتى أعدائي

ما جلّلها من عار !

وليكن هذا العار وقفاً على بنات البارث ٢٥ .

قبيحٌ ذاك الثور المسلوب القرون ،
قبيحٌ ذاك الحقل الأجرد من العشب .
قبيحة الشجيرة المسلوبة من الأوراق .
وقبيحة كذلك من لا يجلل رأسها شعر منسق .
أي سيميليه^{٢٦}
أي ليدا^{٢٧}

ما وجهت نصحي إليكما ،
وكذلك أنت يا أوروبا يا غادة صيدا^{٢٨}
يا من حملها الثور الأسطوري عبر البحار .
وما عنيثك بقولي يا هيلينا
يا من طالب منيلاوس بعودتك إليه ،
- وما كان أشد حُمة حين فعل - ،
ويا من أصرّ باريس على الاحتفاظ بك
- وما كان أبعد عن الحُمة حين فعل - .
إن جمّع طالباتي من الجميلات والديميات ،
وعدد القبيحات دائماً يفوق الجميلات ،
اللاتي هنّ في غنى عن عون الفن ،
وعن نصائحي .

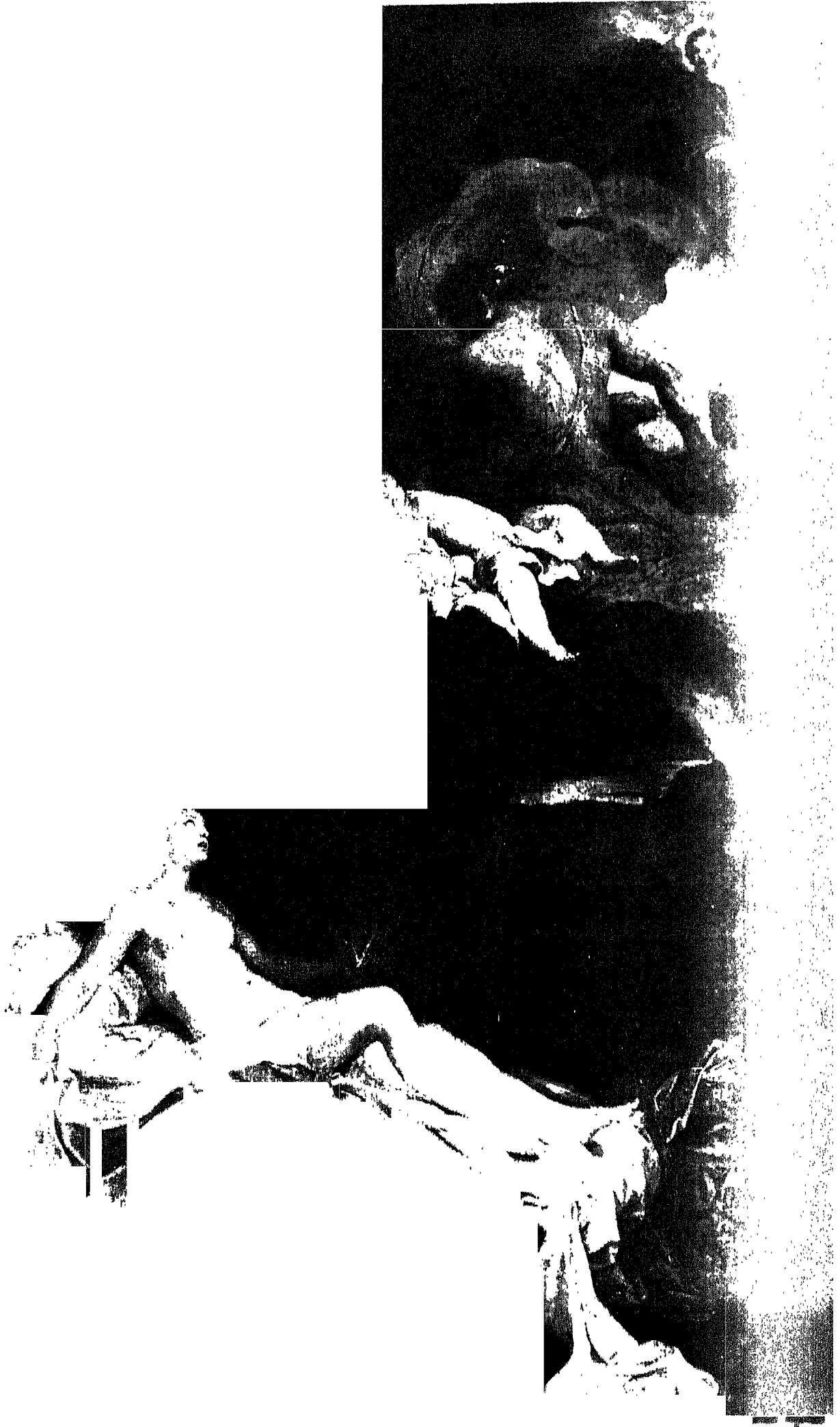
ففاتنهن من سعد طالعهن .
وحين يسود البحر الهدوء ،
يخلد الملاح إلى راحته .

فإذا عصفت ثورة الموج ،
لا يبرح مكانه في السفينة

٢٦٠

بل يطلب العون من القادرين .
أقول لكن ،
ما أندر وجهاً لا تشوبه شائبة .

استرن عيوباً قد تعتور ملاحه وجوهكن
أو بهاء أجسادكن .
أقعدني إن كنت قصيرة ،
حتى لا تبدين جالسة بينا أنت واقفة ،
بل اضطجعي على الفراش ،
ومُدِّي ساقيك تحت ثوب يُلقَى فوقهما ،
وكأنه يسقط عليهما عفواً ،
حتى لا يتبين أحدُ قامتك .
إن كنت نحيفة فاختاري ثياباً كثيفة النسيج ،
واتركيها تتدلَّى من كتفيك حتى عقيبك .
أما شاحبة الوجه
فلترتدي ثوباً تتخلله خطوط حمُر .
ولتستعن السمراء بسمكة فاروس^{٢٩} .
واخف قدمك المشوهة في خُفٍّ أبيض كالجليد ،
ولا تحلِّي رباط الخفِّ عن عقبك إن كان ناتئ العظم .
واستري عظم الكتف بسترٍ إن كان بادياً .
وإن ضَمُر منك الصدر لَقَى حوله شريطاً من قماش .
ومن كانت بدينة أصابعها أو غليظة أظافرُها ،
فلتكفَّ عن التلويع أثناء الحديث .



ومن كانت بجراء فلتشبح بثغرها عن وجه عشيقها ،
ولتغلق فيها حتى تأكل .
وإن اسودّ في فلك ضرسٌ ،
أو شاه حجمه ،
أو انحرف ،
٢٨٠ فخير لك ألا تضحكي .

* * *

حتى الضحك ، فلتتعلم سيدتي كيف تمارسه ،
فللكياسة فيه نصيب ، أي نصيب .
ليفترّ ثغرها حين تضحك في قصد .
وليقف اتساعُ غمّازة الخد عند حدّ .
ولتستر أسنانها السفلى بشفتها ،
ولتمسك عن هزّ خصرها مسترسلة في الضحك ،
ولتلقن كيف تضحك برّة أنثوية .
ثمّة من تشوّه وجهها قهقهة بشعة ،
ومن نظنها تبكي بينما هي تضحك .
وتلك التي تُرْسِل ضحكُها صريراً كالأتان
المطلقة عقيرتها إلى جوار رَحَى الطاحون .
ما أبعد أغوار الفن .
فبالفن تبكي السيدة بأسلوب لائق ،
وتتجنب كذلك حين تريد وكيف تريد ،

بل تحرف بعض الحروف عن مخارجها الأصلية ،
 فتتكلم بلسان يُلثغ وفق مشيئتها .
 وهذه هِنَةٌ تنبض سحراً
 إذ تفتعل النطق الخاطيءُ عامدةً .
 وثمة فن يدربهن
 كيف يشوّهن سياق النطق بهذا السحر .
 فلتتعرفن إلى هذي الأمور كاملة ،
 فما أجداها .
 وأقول لكنّ
 فلتتبخترن بجثرة الأنثى .
 للسير أساليب تفتن ،
 قد تجتذب المجهول المُعجَب
 من حيث لا تدري المرأة ،
 وقد تنقره منها .
 إليك امرأةٌ تؤرجح رِذفيها في حذق ،
 وتفصح للنسيم يتخلّل ثوبها المنسدل ،
 بينا تدقّ الأرض بقدميها معترّة .
 وإليك ثانيةٌ تنهب الأرض بخطوات واسعة ،
 كزوجة فلاح من أوميريا لوّحت الشمس وجهها .
 أقول اعتدلن في مشيتكنّ ،
 واعتدلن في جُلّ أمور الحياة ،
 فثمة خطو يضيفي عليك سمة الريفية الجِلْفَة ،
 وغيره يُسبغ عليك الإفراط في التكلّف .
 وأقول أيضاً ،
 نحلي أسفل الكتف وأعلى الذراع عاريين ،
 تسهل رؤيتهما عن يسار ويُدكيان فتنك .

٣٠٠

أنت يا من بَشَرْتِك بيضاء كالجليد ،
أنا إن رأيت مثل هذه الكتف
لاندفعت إليها مقبلاً أيان وجدت .
بصوتهن الرخيم كانت « السيرينات » ،
تلك الكائنات البحرية الخارقات ،
يعرقلن جري السفن مهما بلغت سرعتها .
وحين سمعن ابن سيزيفوس ،
كاد أن يفكّ وثاق الجبال من حول جسده ٣٠ ،
بينا كانت آذان رفاقه مسدودة بالشمع .
الغناء شديد الإغراء ،
فأروع أن تدري النسوة كيف يغنين ،
فكم من امرأة اتخذت من صوتها لا من وجهها ،
قوَّادتها !
فليردّدن الأغاني التي يسمعنها
في دور المسرح الرخامية ،
وليتغنين بالأناشيد الشرقية المؤثرة
الوافدة من ضفاف النيل .
وعلى الراغبة في غواية الرجال
أن تحسن إمساك ريشة الغمز بيمينها ،
٣٢٠ والقيثارة بيسراها .
فأورفيوس ربيب جبال رودوبي ،
قد حرّك الصخور والقلوب بقيثارته ،
وأثار بحيرات تارتاروس ،
(وكيريروس) الكلب ذا الرؤوس الثلاثة .
[أي أمفيون] أيها الآخذ بثأر أمك ،
لقد قويت بألحانك على أن تحرّك الحجارة



ديبوا : ليذا والبجعة .
باذن من متحف لوكسمبورج

لتشيد نفسها بنفسها أسواراً^{٣١} .
ويُروى أن السمك الأبكم والأصم
قد أفصح عن نشوته ،
حين أصغى إلى أنعام قيثاره أريون^{٣٢} .
وتعلّمي أيضاً أن تمسّي بكلتا يديك في رفق
أوتار الهارپ الفينيقي الساحر ،
فما أليقه بسويعات المرح .

ولتكن مألوفةً لديكِ ألحانُ ربّات الشعر ،
ملهمات كالهاخوس وفيليتاس شاعر كوس
وأنا كريون السكير العجوز منشد ميناء تيوس .
ولتلمّي أيضاً بأبيات سافو شاعرة ليزبوس ،
ومنْ أقدر من سافو على الإيحاء بالمجون !
ولتحفظي أقوال ميناندر شاعر الملهاة ،
الذي يروي لنا كيف يخدع العبدُ « جيتا » رب البيت .
وجدير بك أن تعرفي كيف تلقين قصيداً لپروپيرتيوس الحاني^{٣٣} ،
واحفظي أيضاً أبياتاً لجاللوس^{٣٤} وتيبوللوس^{٣٥} ،
وقصيد فارو^{٣٦} عن الفروة الذهبية مبعث مأساة أختك يافريكسوس .
وأعرفي قصة أينياس الهائم ،
وجذور روما النبيلة
في ملحمة لم تفقها أخرى شهرة بين اللاتين^{٣٧} .
وقد تضيفين اسمي أيضاً إلى أسماء هؤلاء ،
فلن يكون مصير مؤلفاتي أن يُقذف بها في مياه لتي [نهر النسيان]^{٣٨} .
قد ينصحك أحدهم قائلاً :
اقرئي قصائد « أستاذنا » الأنيقة
التي يدرب فيها الطرفين المتنافسين ،

أو اقرئي أجزاء قصيدة « الغزليات » الثلاثة .
واختاري منها ما تستطيعين إلقاءه بصوت رخيم .
أو جوّدي إلقاء إحدى « رسائل البطلات » ،
فهي آثار الشاعر الذي ابتدع هذا الفن ،
ولم يسبقه إليه سواه .
أي فويبوس
أي باكخوس ياذا القرنين
يا ربّات الفن التسعة
يا ملهمي الشعراء
أنصتوا إلى ضراعاتي .
مطلبي أن تتقن المرأة فن الرقص ،
حتى إذا دار النبذ لوّحت بذراعيها ساعة يُوجّه إليها الرجاء .
الراقصة الرشيقة فنانة
تُضفي عليها المسارح شهرة كلما هزت رِدْفِها .
ما أشهى فتنة هذه الحركات المناسبة .
واخجلي أن أسوق إليكن نصائح في أمور هيّنة ،
ولكني أفضّل أن تعرف تلميذتي
كيف تلقي بالزّهر في حذق
وكيف تحسب بدقة
مدى قوة دفعها للزرد فوق المنضدة .
وددت لو تعرف أيضاً
متى تقذف بالثلاثة ٣٩ ،
ومتى تستولي على ربحها ،
ومتى تتحدّي .
وددت أيضاً لو تجيد اللعب الحذر بالشطرنج ،
فما من شك في أن البيدق ينهزم أمام اثنين ،

والملك إذا انفصل عن مليكته تعرّض للأسر ،
 ٣٦٠ أو يرغمه الخصم على أن يتقهقر .
 وإن كنت تلعبين كرة المضرب
 ولمست الكرات بمضربك العريض ،
 فلا تدفعي سوى الكرة
 التي تقصدين أن تبليغي بها المرمى .
 وهناك لعبة تحتاج لمهارة بالغة ،
 تُرسم فيها خطوط على لوحة
 تشكّل خانات بقدر شهور السنة ،
 على كل من طرفيها ثلاثة بيادق ،
 والفائز من ينجح في نقل بيادقه إلى صف مستقيم آخر .
 تعلّمي هذي الألعاب كلها ،
 بل ابتكري ألفاً مثلها .
 فلا يليق بالفتاة أن تجهل اللعب ،
 وما أكثر ما تفوزين من خلاله بالحب .
 أن تبرعي في الرمي بزهرتك أمر ميسور ،
 وأعسر منه أن تضبطي مشاعرك أثناء اللعب ،
 فنحن في غمرة اللعب وحماسه
 نكشف عن خفايا قلوبنا ونفقد اتزان عقولنا ،
 ويتسلل الغضب إلى صدورنا ،
 وهو شر مستطير .
 يشدّنا الحرص على الكسب ،
 فننزح إلى المشاحنة وننجي الأسف .
 يتبادل اللاعبون اللوم ،
 ويرتفع صدى الصراخ في الجو ،
 ويتضرع كل لاعب إلى الآلهة الغضبي كي تناصره .

لحظتها لا يثق الجار بالجار ،

وتتصاعد الشتائم والسباب ،

ويطالب الجميع بمنضده بديلة

[تقهر النحس] .

ما أكثر ما رأيت وجنات اللاعبين منداة بالدموع .

فليتيكنّ الإله چوپيتر مثل هذه المشاجرات النكراء ،

خاصة من تحرص منكن على الاستئثار بقلب رجل . ٣٨٠

هذي ألعاب وهبتها الطبيعة الكسول للمرأة ،

بينما يلهو الرجال بما هو أشق ،

فمن نصيبهم الكرات السريعة والرماح القصيرة والأطواق ،

وأسلحة المبارزة والجياد المدربة على الركض في الحلبة .

ولم تُخلقي أنت كي تتبارى في حقل مارس ،

أو تغوصي في مياه العذراء^{٤١} القارسة البرد ،

أو تسبحي في تيار نهر التيبر التوسكاني .

والأجدر بك أن تتهادي في ظلال رواق پومپيوس ،

عندما تلذع الرأس أشعة جياد العذراء السماوية^{٤٢} .

ولك أن تزوري القصر المقدس لفويبوس المتوّج بأكاليل الغار^{٤٣} ،

فهو الإله الذي أغرق سفن المصريين

في أعماق البحار [في معركة أكتيوم] .

ولتزوري روائع القصور التي شيّدها أخت أوغسطس وزوجته ،

ثم زينها [أجريبا] زوج ابنته [چوليا] بمشاهد أمجاد الأسطول^{٤٤} .

ولترددي على محاريب بقرة ممفيس

حيث يُحرق البخور^{٤٥} .

ولتزوري ملاعبنا الثلاثة ،

ولتظهري في أبرز أماكنها^{٤٦} .

تأملي حلبة الملعب المطلّخة بالدماء الساخنة ،

وارقي ذلك العمود الذي تدور من حوله مركبات السباق ،
 بعجلاتها الخاطفة البريق .
 ما خفي يظل مجهولاً أبداً ،
 وما هو مجهول لا يتغيه أحد .
 فإذا نجني من وجه جميل لا تقع عليه عين ؟
 وحتى لو كنت تفوقين ثاميراس^{٤٦} وأمويبيوس^{٤٧} في روعة الإنشاد ،
 ٤٠٠ لما استمتع أحد بقيثارة ، مجهولٌ عازفها .
 لو لم يصوّر فينوس المثلّ أيليس ابن جزيرة كوس ،
 لظلت راقدةً مجهولةً في أعماق البحر ،
 وماذا تُراهم ينشدون أولئك الشعراء المخلّدون ،
 هل ينشدون إلا مجدهم وحده ؟
 تلك غايتنا مهما تجشّمتنا من عناء .
 وقديماً كان الشعراء ينعمون في كنفِ الملوك والزعماء ،
 وكان منشدو « الجوقة » يربحون المال الوفير ،
 وكان اسم الشاعر مقدساً وجديراً بالتبجيل ،
 ولكم مُنح المال بغير حساب .
 فالشاعر إنيثوس^{٤٨} ربيب جبال كالابريا ،
 كان جديراً بأن يُدفن إلى جوارك ياسكيبو^{٤٩} العظيم .
 أما اليوم فقد بات الشاعر غير مكرّم ،
 لا يُجزّي بغير إكليلٍ من اللبلاب .
 وغدا السهر في خدمة ربات الفنون العليات صينواً للكسل والبطالة .
 ورغم ذلك ما زال الشعراء يكافحون ويكافحون في سبيل المجد .
 من منكم كان يسمع عن هوميروس ،
 لو ظلت الإلياذة الخالدة في طي الكتمان ؟
 ومن منكم كان يعرف داناي ،
 لو أنها استقبلت شيخوختها وهي سجينّة برجها ؟^{٥٠}

أيتها الفتيات الجميلات ،
خير لكن أن تنخرطن في الزحام ،
ولتعتبر أقدامكن عتبات بيوتكن إلى خارجها ،
من آن لآخر .
فإن أنثى الذئب تتربص بأكثر من حَمَل ،
قبل أن تختار فريستها .
وكذلك ينقضّ نسر چوپيتر على طيور عدّة ،
قبل الفتك بأحدها .
فلتستعرض الجميلة مفاتها على ملأ ،
فقد يفجؤها من يولع بها .
ولتكن دائما تواقّة أنى قصدت ،
إلى إثارة الإعجاب في نفوس الرجال .
ولتكن بما يبرز مفاتها واعية دوماً ،
فالحظ يهيمن على كل المضادفات .
اتركي الشص يتدلّى ،
وعسى أن تلقفه سمكة في الجدول ،
في وقت لم يخطر لك على بال .
وما أكثر ما تهيم الكلاب غدواً على وجوهها في الجبال والوديان ،
فيقع الوعل اعتباطاً في شراك القنص .
وحين كانت أندروميذا موثقة على الصخر ،
أتراها كانت تأمل أن يرقّ إنسانٌ لدمعها المنسكب ؟
وما أكثر ما تعثرين على الزوج الجديد في جنازة الزوج المتوفي !
لحظتها لك أن تنطلقى نادبة ،
وأن تمضي بشعرك المنفوش ،
فلمرآك على تلك الحال فتنة .
تجنّبي من الرجال من يتكلف الأناقة ،

ويسوي شعره بعناية مفرطة .
 فما يصبه في أذنك من معسول الكلام ،
 قد رده لألف امرأة قبلك .
 عيناه زائغتان وخياله منفلت لا استقرار له ،
 فما تطيق امرأة حيال عاشق ييزها زينة !
 بل إن له من العشاق رجالاً يفوقون عشاقك عدداً !
 قد تستكرين مقالي ، ولكن حذار ،
 فلو أن أهل طروادة قد استجابوا لنصح پريام ،
 لظلت طروادة باقية حتى اليوم . ٤٤٠
 هناك رجال يحاصرون النساء متظاهرين بالحب ،
 على حين أن تقرّبهم منهن
 لا هدف له غير الربح المفحش .
 حذار أن تخذلك شعورهم الملساء
 الممزوجة بالدهون والطيب ،
 أو يغريك طرف حزامه المعقود برشاقة ،
 أو يفتنك رداء التوجا رقيق النسج ،
 ولا عدد الخواتم يجمّل بها أصابعه .
 فلعل أشدّهم أناقة لص لا يهتم بك بل بما تتحلّين به .
 فما أكثر ما تصبح نساء في ساحة الفورم :
 « رُدّوا إليّ حاجياتي . رُدّوا إليّ حاجياتي » .
 أما أنت يا فينوس ، فبلا اكتراث
 تتأملين هذه المشاحنات الرخيصة ،
 شامخة من علياء محاريبك المتألقة بوفير الذهب ،
 أنت ووصيفاتك حوريات آيا .
 وكم من خليع طبّقت شهرته الآفاق ،
 - غير جديرة بتقديرنا -

من تقع فريسة له .
 تعلّمي من كوارث غيرك كيف تقين نفسك ،
 ولا تفتحي بابك للعاشق الغادر .
 أي عذارى أثينا ، لا تصدّقن قَسَمَ ثيسوس ،
 فليست هذه أول مرة يموّه بالكذب قَسَمه .
 وأنت يا ديموفوون يا من ورثت موهبة ثيسوس في الكذب ،
 كيف نأتمنك بعد أن حثت بوعدك لفيليس ؟ ٤٦٠
 إذا جاءكن الرجال بالوعود ،
 فارددن عليهم بوعود في عدد كلمات وعودهم .
 ولو منحوكن هباتٍ ،
 فامنحنهم مقابلها من الهبات التي ينشدونها ،
 فالمرأة التي تتلقى من عاشقها الهدايا ،
 ثم تحرّمه من لذة هي من حقّه جاحدةٌ كافرة ،
 كُفر من يُطفيء شعلات معبد الإلهة فستا ،
 أو من يسرق الأواني المقدسة من معبدك يا إيو ابنة إيناخوس ،
 أو من تُرسل عاشقها إلى حتفه ،
 إذ تسقيه سُمّ البيض مخلوطاً بمسحوق الشوكران .

* * * *

موهبتني في الشعر تدعوني الآن
إلى طَرُق موضوعنا عن قُرب .
تعالى ياربة شعري واكبحي جماح زمامي .
ولا تدعي مركبة شعري تندفع على غير هدى .
ليبعث إليك عاشقك بالرسائل منقوشة على لوحات خشب التَّوب ،
مهيئاً بذلك جو الغزل ،
ولتلقها عنك وصيفتك .
واكتشفي من خلال مخطوطه إن كان يتظاهر بالحب ،
أو يعبر في شجن صادق عما يختلج بصدرة .
وبعد فترة ابعتي إليه برسالة ،
فتأخير الجواب مهماز يهيجُ العشاق ،
على ألا يطول التأخر كثيراً .
ولا تعدي في يسرٍ بما يضرع به إليك ،
ولا ترفض في عناد مسرف ،
بل دعيه يأمل ويخاف معاً .
وفي كل مرة تكتنين إليه ،
امنحيه أملاً أقوى ، وهوني من مخاوفه .
أيتها النساء ،
اخترن كلمات رقيقة تكتبنها ،
ولتكن كلمات مألوفة ،
فالكلام المألوف يبعث في النفس الراحة .
كم نجح مكتوبٌ في أن يؤجج شعلة الحب
في صدر عاشق متردد
وكم آذت عبارةٌ مُغرِبةٌ علاقات أنثى جميلة .
ومع أنك لا تضعين فوق جبينك إكليل العرس الشرعي
فلك سيد ،

ما أشوقك إلى خيانته .
أُكُتِي رسائلِك بِخَط أُمّةٍ أو وصيفةٍ ،
ولا تأتمني عبداً مجهولاً على حمل عهودك ،
فكم من امرأة لقيتها وقد شَحُبَ منها اللونُ ،
وعذبها إفشاء سرّها بشقاء دائم .
كم يشينُ الرجلُ
أن يحتفظ بمثل هذه العهود المسجّلة ،
لكأنه يحمل بيده صاعقة من بركان إتنا ،
وكما يبيع القانون مبدأ السلاح بالسلاح ،
أقول لك : « التدليس بالتدليس » .
درّبي اليد التي تكتب ،
على نسخ أنواع متباينة من الخطوط .
[آه . لتُهلك الآلهة رجالاً يجعلون مثل هذه النصيحة ضرورة !]
أن تكتبي الجواب على اللوح .
قبل أن تسوّي طبقة الشمع ،
أمر غير مأمون ،
فقد يظهر خط رسالة قديمة لك تحته .
ودعي من يكتب ، يخاطب العاشق وكأنه أنثى ،
وكلما أملت : « هو » ،
فليكتب : « هي » .
وإذا كان لي أن أتدرّج من تافه الأمور إلى أجلّها ،
فإني أبسط للريح شراعي وأقول :
اضبطي ثورة انفعاكِ
إن شئت الاحتفاظ بجمالِك .
فالهدوء الوداع يليق بالبشر ،
والغضب الهائج أليق بالحيوان ،

يخلف الوجه منتفخاً بالثورة ،
ويملاً العروق بدم داكن ،
فتُبرق العيونُ بوحشية عيونِ الجورجونة .
قالت باللاس حين رأت وجهها على صفحة الجدول :
أعزب عني ، أيها المزمар الشقي ،
فلستَ بالذي أشوّه جمالي من أجله^{٥١} .
وأنت كذلك .
فلو أنك وقعت أسيرة انفعال عنيف ،
ثم تأملت خلال سؤرة غضبك في مرآة ،
ما تعرّفت نفسك أبداً .
والعجرفة تشوّه جمال ملامحك ،
فالحب لا يُكتسب بغير العين الحاذبة .
ما أبغض الخيلاء تزيدُ عن المألوف .
وصدّقي قول خبير ،
فما أكثر ما يضم الوجه العابس
بذور الكراهية والعداء .
فإذا تطلّع إليك متطلّع فتطلّعي إليه ،
وإذا ابتسم برقة فابتسمي له ،
وإذا لّوح لك أومئي برأسك .
بعد هذا التمهيد ،
يستطيع كيوييد أن يجرّب سهامه الحادة
التي يَنزِعُهَا من كِنَانَتِهِ .

* * * *

وإني لأنفر من النساء المكتثبات .

فليهنأ أچاكس بحب تِكْمِسَا ٥٢ .

أما نحن فللمرح نميل ،

تَفْتِنُنَا المِرْحَات .

لن أسألك يا أندروماخي ولا أنت يا تِكْمِسَا ،

أن تغدو إحداكما عشيقتي يوماً . ٥٢٠

ما إخالكما ضاجعتما زوجيكما أبداً ،

لولا الذرية دليل .

أو يُعْقَل أن تكون تلك المسرفة في اكتئابها ،

قد همست في أذن أچاكس يوماً : « يا نور حياتي ! »

أو همهمت بكلمات تثير الخِذْن الحبيب !

دعوني أدل بأمثلة على فني الرشيق

من أحوال بالغة الجد .

فلأتمثل بِخُنْكَ قائد يُشرف على جيشه ،

إنه يعهد للضابط حامل عصا الكرم ٥٣ .

قيادة مائة جندي ،

ولغيره قيادة الفرسان ،

ولثالث حماية البيارق .

على النساء كذلك أن يزنّ

قدرة كل منا في ميدانه ،

وأن يعهدن إلى كل منا نصيباً :

الغني يمنح الهدايا ،

والمحامي يشير بالفتوى ،

والخطيب يترافع في قضية موكلته ،

أما نحن صنّاع الشعر ،

فلا نرسل لحبيباتنا غير الأبيات .

نحن الشعراء لحياة الهوى أوفق ،
نتغنّى بجمال المعشوقة في أطراف الدنيا .
فكم ذاعت شهرة نيميسيس وستشيا ،
وبلغ اسم ليكوريدس شواطئ المغرب والمشرق ٥٤ .
وكم من سائل يستوضحني من هي كورينا ٥٥ ؟
ما أبغض الخيانة على الشعراء ،
وما أقدر الشعر على خلق الإنسان الراقي .
لا يغرينا بريق المال ولا طموح جامع .
لا نبالي سوق « الفورم »
وأرباحاً تدرّها .
الراحة والعزلة ما ننشد .
ما أسرع ما نقتنص الحب ،
يلتهمه هيينا النهم .
يا ويلنا ، نسرف في الإيمان بالحب
ولا نثق بغيره .
فنون السلام التي نمارسها
تُكسب أخلاقنا حناناً وكيّاسة ،
وأسلوبُ حياتنا يجاري أسلوبَ شعيرنا .
رفقاً بنا أيتها الجميلات ،
فلا تحرمين الشعراء مفاتيكن ،
فالألوهية فيهم كامنة ،
وربّات الفن بعطفهن يشملنهم .
في كل منا إله يكمن ،
ونحن على صلةٍ وثيقة بالسموات ،
يهبط الوحي علينا من علياء .
ما أبشعه جرماً ،

أن تسألن الشاعر الفذ أجراً .
وآسفاه ! هذا جرم لا تتورع عنه المرأة .
ومع ذلك ، أقول لك اصطنعي المراءاة ،
إياك والجلشع يطفو على قسماات وجهك .
فما أجزع العاشقُ الحديث العهد
إذا لمحت عيناه الشراك .
الفارس الماهر لا يقود المهرُ الحديث الترويض ،
مثلما يقودُ الجواد الذي ألف اللجام .
فاتخذي منهجين متباينين
في اقتناص الشباب اليافع والسّن الرشيد .
فإذا أتاكَ المجنّد الساذج
الذي لم يخض معارك الحب من قبل
وسقط في فراشك فريسة أولى ،
فلا تخلي بينه وبين أن يعرف امرأة سواك ،
واقهره على أن يتعلق بك وحدك .
فالتناج الغض في حاجة إلى سياج مرتفع يزود عنه .
واجهدي حتى لا تنافسك غريمة ،
فظالما أمسكت بالزمام في يديك فأنت مليكة .
العرش والحب كلاهما لا يطيق المشاركة ،
ولا يأمن لها .

٥٦٠

هذا حال المبتديء ،
أما المحنك فيأتيك رويداً رويداً ،
ويدنو من الحب بحرص شديد .
ويلقي في سبيله ما لا يحتمله المبتديء .
لن يحطّم الأبواب ، أو يضرّم فيها النار ،

ولن يخذش وجنات عشيقته بأظافره ،
ولن يمزق رداءه ولا رداء حبيبته ،
ولن يجذب شعر خليلته غلاً
حتى يستقطر من عينيها الدمع .
هذي أعمال لا يأتيها غير ذوي الترق من الصبيان
الذين يتلظّون جوى .
أما المحنك فيقبل أمر الآلام برباطة جأش ،
بينما هو يحترق ،
كالنار المتسللة بطيئاً في القش النديّ ،
أو في الخشب المقطوع وشيكاً من سفوح الجبال .
هذا النوع من الحب مأمون البقاء .
أما الآخر ،
وإن كان أغزر متعة فهو أقصر عمراً .
فلتقطف يدك عَجَلَةً الفاكهة العابرة .

* * *

فلتزع الستار الآن ،
إذ فتحنا أبوابنا للعدو .
ولنكسب ثقة الغير في عهدنا ،
لا بالصدق الساذج ،
بل تحت غلالة
من حيل خادعة .
فما تمنحينه في يُسر لا يهب الحب طول العمر ،

فلتجعلي من أساليبك معه ألواناً .
صدّيه برفق من حين إلى حين ،
ودعيه يرقد قدّام بابك الموصد ،
يصيح آه منك أيها الباب العتيد .
خلّيه تارة يلعب دور المتوسّل ،
ويمثل دور المهذّب تارة أخرى .
نحن الرجال لا نُسيغُ دوماً الاستسلام العذب .
نُدّينا من آونة لأخرى بعصارات مُرة .
فكم من سفينة غرقت في نسيم مُواتٍ .
وكم يفوّتُ الاستسلام العذب
على النساء الاحتفاظ بحب أزواجهن ،
فبه ينال الأزواج ما يشاءون حين يشاءون .
هب أن هناك باباً إلى مخدعها .
يتصدّره حارسٌ يَجْبُهك بصوت عنيد :
« لن تعبر » .

عندها يا سيدي
والباب موصد في وجهك
سوف يشتعل منك القلبُ حباً .
وحينذاك يكون الأوان قد آن يا سيدي ،
كي تُسَلّي السيفَ من غمده ،
وتبارزي بحدّ ماضٍ .
ولست بغافل عن أن هذه الأسلحة التي مَنَحْتُكِ إياها ،
ستسدّديها إلى صدري يوماً .
أما العاشق الذي وقع لتوه في شراكك ،
فأوهيمه أنه وحده صاحب الحق في مخدعك .
وبعد قليل أيقظي فيه الشعور بوجود منافس ،

وبأن غيره يشاركه فراشك .
 إن فاتتك هذه الحيل ذوى حبه ،
 فلا يلبث الجواد أن تفتّر همته ،
 بعد أن يتخطى غيره من الجياد في السباق .
 وشعلة حبنا الداوية تتأجج من جديد ،
 حين يمسّها وخز يسير .
 واعترف أنا الآخر ،
 أني ما قويت على المضي في حب مديد ،
 لولا نكسة توقظني من وقت لآخر .
 لا تقدّمي له أسباباً واضحة لما ينتابه من شك .
 وإذا تألم حقاً ،
 فاحرصي على أن ينبع ألمه من وحي خياله ،
 لا من حقيقة ارتكبتها تعرّف عليها .
 وما يثيره يقظة زوج فظ قاس ،
 أو غلظة عبد يحرس الباب .
 والمرأة التي يظفر بها عاشقها بغير عناء ،
 لن تكون أحب النساء إلى قلبه .
 حتى لو كنت طليقة مثل تاييس^{٥٦} من كل قيد ،
 فتظاهري بمخاوف موهومة تتهدّدك ،
 ولو كان يسيراً عليه أن ينفذ إليك من الباب ،
 فادفعيه بدهاء لكي يقفز إليك من الشباك .
 وارسمي سمات الجزع على وجهك .
 ومُري وصيفة لمّاحة
 أن تقتحم بابكما صائحة :
 « قد افتضحنا ، وقُضي علينا »
 عندها أخيف الشاب المدعور في مخبأ ،

٦٠٠

ومن آونة لأخرى منيّه بمتّع آمنة ،
حتى لا يخال أن لياليك غيرُ جديرة بما يتكبد .

* * * *

أوشكت أن أغفل وصف الأساليب
التي تخدعين بها زوجاً ماكرّاً أو حارساً يقظاً .
فن الخير أن تخشى الزوجة زوجها ،
ومن المألوف أن يحرسها زوجها أدق حراسة ،
ولكن لا يسوغ له أن يتجسس عليك
رغبة في إذلالك .
هذا ما لا يجوز لك أن ترضيه .
أنت يا من أعتقك « الپريتور » بصولجانه^{٥٧} ،
تعالى إليّ .

سألّقتك أسرار مخادعتهم ،
ولو انتشر من حولك حراسٌ بعدد أعين أرّجس^{٥٨} ،
لأفلت منهم جميعاً .

فكيف لحارسك - بحق الآلهة -

يحول دون تسطيرك رسائل العشق .

في فترة لك أن تقضيها داخل حمامك ؟

أويستطيع أن يمنع خادمة لك ،

٦٢٠

من أن تحمل أسرار غرامك
في لوحات تخفيها تحت وشاحها أو في جوربها ،
أو بين باطن القدم وخُفِّها ؟
وهي أن حارسك يسدّ عليك المنافذ كلها ،
فلتتخذي من ظهر نجيّتك لوحات الكتابة ،
ولتنقشي كلماتك على جسدها كله .
وثمة نوع من الكتابة أراه آمناً يخفي عن العين ،
هو الكتابة باللبن الطازج ،
فإذا غُشِّيَ بمسحوق الفحم قُرئت حروفه .
وثمة طريقة أخرى ،
أن تكتبي بعود من نبات الكتان المبلّل ،
فينقش على اللوحة مالا تراه العين إلّا فيما بعد .
حاول أكريسيوس جَهْدَ الطاقة
أن يعزل ابنته داناي .
وتستى لها مع ذلك
أن ترتكب جريمة ،
ارتقت بأبيها إلى مرتبة الجَدِّ !
وماذا في طوق الحارس أن يأتيه
بيننا تغصّ المدينة بالمسارح ؟
تغشى الفتاة سباق المركبات متى شاءت ،
وتدخل المعبد المحرم على تابعيها من الرجال أن يلجوه ،
ذلك المعبد الذي تُمجّد فيه بقرة فاروس [إيزيس] بالمصلصات .
وحين تدفع « الإلهة الطيبة »
كل الرجال بعيداً من حول معابدها ،
أَعْصَىُّ على البعض أن يتسلّل ؟
أعسيرُ بينا يقف الحارس الغافل

منشغلاً خارج أسوار الحمامات
 برعاية ملابس سيدته ،
 أن ينساب العاشق إلى [حوض الماء] ؟
 وحين تلحّ الحاجة ،
 فكثيراً ما تزعم الصديقة الماكرة
 أنها طريحة الفراش لمرض ألم بها .
 ومع ادعائها المرض ،
 فإنها تخلّي فراشها لصديقتها
 [كي يخلو بها عشيقها] .
 أليس في اسم المفتاح البديل ،
 المعروف بمفتاح الزنا
 ما يشي بالنية من استخدامه ؟
 أليس الباب هو الطريق الأوحّد إلى مخدع المرأة ،
 فتخدير حارس الباب ميسور مهما بلغ فضوله ،
 بأن تسقيه نبيذاً قوياً
 من عصارة كروم سفوح أسبانيا ^٩ ،
 وإلى جانبه عقاقير تبثّ النعاس العميق ،
 فتغرق العين المهزومة في الظلام المُدْلِم
 الذي يعلو نهر ليتي
 [نهر النعاس والنسيان] .
 وطريقة أخرى سهلة ،
 هي أن تشغّل وصيفتك ذاك الحارس البغيض
 بمغازلة تهدف بها صرف نظره ،
 وتمكث بجواره أطول مدة .
 لماذا أضيع وقتي في هذي النصائح المألوفة
 في حين أن رشوة صغيرة تكفي لشراء ضمير الحارس ؟

صدّقيني ،
 الرشوة تشتري الآلهة والبشر جميعاً .
 فجوّيتر نفسه يستنم دعةً ،
 إن منحناه العطايا .
 فما بالك بالغرّ
 إذا كان الحكيم قبل الرشوة ؟
 الهدية ذات مفعول ساحر ،
 تكلم حتى أفواه الحكماء .
 ولكني أقول لك ،
 لا تعطي الأتاوة للحارس
 سوى مرة كل عام ،
 لأنك لو أطمعته يسألك أكثر من مرة ،
 لا يبرح يمدّ يده .
 أذكر أنني مرة حذّرت - ويا أسفي -
 بضرورة أخذ الحيطة من الأصدقاء .
 ولكن تحذيري لا ينسحب على الرجال وحدهم ،
 لأنك إن أفرطت في منح الثقة ،
 لتسني لنساء غيرك أن يحصدن مُتّعاً من حقلك ،
 ولاقتنصت غيرك الأرنب البري الذي خصّصته بمطاردتك إياه .
 فصديقتك السخية التي تعبرك مخدعها ،
 ما أوشكها أن تغازل عشيقك .
 وأقول كذلك ،
 لا تحوطي نفسك بوصيفات فائتات ،
 فكم من وصيفة استأثرت بعشيق سيدتها .
 أسوق ذلك من تجربتي ..
 إلى أي سبيل تسوقني شطحاتي ؟

۲۲۵

مالي أترك لساني يجرفني في هذا التيار ؟
مالي أعرض صدري العاري لرشق السهام ؟
مالي أخون أترابي من الرجال ؟
فالطير لا يكشف للصياد السبيل إلى صيده ،
والوعلة لا تمتد الكلاب بأسلوب طرادها .
ومع ذلك إذا أردت أن أستطرد في إسداء خدماتي . فهاكها .
ولأسلحن نساء ليمنوس بسيوف تحمل في نصالها منيتي ٦٠ .
أوهميننا - وهو أمر جد يسير -
أننا محطّ العشق ،

فما أسرع تصديق أصحاب الشهوات المحتمدة .
على المرأة أن تبعث للفتى بنظرات تنضح بالحب ،
وأن تطلق زفرات تصاعد من أعماقها ،
وأن تسأله عن حجة تأخيرها .
ولا بأس أن تمزج هذا كله بقطرات الدمع ،
وأن تتظاهر غاضبة بالغيرة من منافسة تصوورها .
ولتخمش بأظافرها وجهه .
لحظتها ما أسرع ما يقتنع بأنها مدلهة به ،
ولا يلبث أن يسري في قلبه فيض العطف ،
ويناجي نفسه :

٦٨٠ « ما أشقاها بهّواها » .

وإن كان من المختالين ،
يعشق النظر في مرآته ،
فما أسرعه إلى أن يصدق
أن الإلهات أنفسهن قد يولعن به .
وإن ظلّك لا تبالي ،
ولا تكثرني إن طرقت أسماعك شائعة عن منافسة أخرى ،

بل لا تسرعني إلى التصديق ،
فإن مآسى التصديق السريع
تبدو لك من قصة پروكريس^{٦١}
بجوار سفوح جبال هيميتوس الأرجوانية المزهرة ،
ثمة ينبوع مقدس تكتنفه مروج سندسية ،
تملؤها أشجار معتدلة الارتفاع ،
تتجمع في أجمة .
وبين العشب تنمو شجيرات القطلب ،
وكذا الغار وحصى البان والآس الداكن ،
وكلها شجيرات ذات أريج عاطر .
وورق البقس الكثيف لا يغيب عن ذاك المكان ،
ولا شجر الطرفاء الهش ،
ولا الصنوبر المستنبت ،
ولا البرسيم الرهيف .
والغصون المورقة تتأود مع هبات النسيم العليل ،
والرياح الخفيفة المنعشة .
وقمم أعواد العُشب ترتجف في مهب الريح .
كاد النوم الهادئ يغلبُ كيفالوس ،
شأنه دوما في ذاك المكان .
حين يأخذ مضجعه
منهك القوى إثر رحلة صيد شاقة ،
تاركاً وراءه خدمه وكلابه .
فيتغنّى منشداً :
« أقبلي يا آورا ربة النسيم
أقبلي يا آورا الهائمة
أشرحي لي صدرى

وأطفئى حرارة حلقي .
وشئى المغرضون بهذه المناجاة إلى زوجته العفة .
وما لبثت پروكريس حين سمعت اسم آورا
أن خالتها غريمة ،
فارتجّ عليها وغاب عنها الرشد ،
وشحب منها الوجه شحوب الأوراق الذابلة حول عناقيد العنب ،
عندما تلفحها رياح الشتاء المبكرة ،
أو شحوب ثمرات السفرجل
حين يكتمل نضجها فتميل بها غصونها ،
أو شحوب ثمار القرانيا قبل بلوغها أن تكون طعاماً .
وما أن ثابت إلى رشدها
حتى مزّقت عن صدرها رداءها الرفيف ،
وخدشت بأظافرها خديها البريثتين ،
وشردت في الطرقات تعدو هائمة كأن بها مساً ،
يتطاير شعرها خلفها ،
لكأنها من عابدات باكخوس
مسّها الترسوس . ٦٢
وحين دنت من الغابة
خلّفت صديقاتها في الوادي ،
وتسلّلت وحدها بخطوات صامتة إلى أعماق الغابة .
ترى ماذا كانت مشاعرك يا پروكريس ،
عندما تربّصت في قلق مشبوب ترقبين زوجك ؟
أي نار كانت ترعى قلبك الملتاع ؟
متوقعة أن تصل آورا المزعومة ،
وأن تقع عينك على الأمر المشين .
ولكن سرّعان ما أسفت على المعجى .

لأنك كنت عازفةً عن أن تشهده متلبساً .
 برّقت لك السعادة تارة ،
 وطوّح بك الحب هنا وهناك تارة أخرى .
 فكل ما حولك يقيم لك الدليل على تصديق الوشاية .
 ها هو ذا المكان ،
 وها هو ذا الاسم ،
 وها هي ذي القصة التي طرقت سمعك ،
 وها هي ذي الغريزة المهلكة
 التي تكمن في نفوس العشاق ،
 فيصدّقون تَوّاً ما يخشون أن يصدّقوه .
 اشتد خفق قلبها حين شهدت العُشبَ مائلاً تحت وطء الأقدام ،
 وشمس الظهيرة قد قصّرت الظلال .
 وتأملت المشرق والمغرب ،
 وكلاهما منها على بُعدٍ متساوٍ .
 وها هو ذا كيفالوس بن ميركوريس الإله السيليني
 يفتد إلى الغابة ليغسل من مياه الينبوع وجهه البراق ،
 وپروكريس تختبئ على مقربة منه
 ترقبه من حيث لا يراها ،
 بينما يمزق الانتظار قلبها .
 يعود ليستلقي على العشب كما اعتاد ،
 ويصيح من جديد : « أقبلي أيتها النسائم ،
 أقبلي يا آورا الحانية »
 وحين أدركت پروكريس التعسة خطأها
 أفاقت ،
 ودبّ اللون في بشرتها ،
 نهضت منطلقة كي تضم حبيبها ،

وحين همت نذ عن أوراق الشجر حفيف .

فظنّها كيفالوس صيداً ،

ووثب إلى سلاحه .

ما هذا الذي تَهْمُ به أيها الشقيّ ؟

ليس هذا بحيوان .

ألق بقوسك .

ويلاه !

اخترق سهمك صدر الزوجة .

صاحت متهاوية : « وامصبيته !

اخترق السهم صدر من تهواك ،

صدراً مطعوناً بسهام حبك من قبل يا كيفالوس .

أموت في غير أواني ،

ولكن لم تلحقني مهانة منافسة أخرى ،

بما يجعل ضريحي يقرّ هيناً فوق عظامي .

٧٤٠

روحي تصعد صوب السماء

تحملها « أنسام » انتابني الشك حيالها ،

ما أشقاني ،

إني أحتضر

فأغلق عيني بتلك اليد التي أعشقها .

ها هو ذا كيفالوس يرفع جسد زوجته المحتضرة ،

يضمّه إلى صدره المكلوم ،

ويغسل جرحها القاتل بدموعه المتدفقة .

وها هي ذي روحها تنسلّ ،

وتسرى رويداً رويداً هاربة من صدرها الطائش ،

ويتلقّى حبيبها الشقيّ أنفاسها الأخيرة بشفتيه .

* * * *

ولنعد بعد ما فات إلى ما كُنّا فيه

إذا كان لقاربي المنهك

أن يدرك مرفأه ،

فلا معدي عن أن أتناول أموراً مكشوفة .

أراك قلقةً تترقبين أن أقودك إلى الوليمة

وتنتظرين مني النصيح حتى تبلغي بابها :

فلتصلي إذن متأخرة ،

وليكن نفاذك إليها في رشاقة ،

بعد أن تكون المشاعل قد أوقدت ،

فالتأخر

ديّوسة شهيرة .

ومهما بلغ بك القبح

فستبدلين في أعين السُّكاري مليحة ،

والليل الحالك يعينك على إخفاء عيوبك .

تناولي الطعام بأطراف أناملك ،

فآداب المائدة فرضٌ واجب ،

ولا تدعي الدهن يلطّخ بشرتك ،

ولا تطعمي في بيتك قبل مجيئك

ومع ذلك لا تتناولي من الطعام

إلا أقل مما تدفعك إليه شهيتك .

٧٦٠ لو أن ابن پريام رأى هيلينا وهي تأكل شرهة ،

لأنقلب حبه لها كراهية ،

ولعاتب نفسه وهو يردد : « حقاً لقد كان ما غنمت امرأة حمقاء » .

وأليق بك أن تشربي ،

فتناول المرأة للشراب

أليق بها من تناولها للطعام .

وإنك يا باخخوس لصديق لكيوييد بن فينوس .
وخذي حذرِكِ
فلو احتفظت برشدك
قويت ساقاك ، وكانتا سنداً لك .
فحذار أن تزدوج الصورة في عينيك ،
وتَرَيْن الرجل اثنين .
فالمرأة المخمورة تمجّها الأبصار ،
وتغدو مباحة لمن يشاء .
وليس من الأمان
أن يَذْهَمَكَ النُعاس بعد رفع الأطباق عن المائدة ،
فقد تنالك خلال النوم ،
أمورٌ تجرّ عليك العار .

* * * *



وما تبقي عندي من حديث يحمر له وجهي خجلاً ،
لكن فينوس تقول دائماً بدلال :
« كل ما يبعث الحُمرّة في الخدود من جوهر اختصاصي »
فلتعرف كل امرأة نفسها معرفة حقّة .
انتقي أسلوبك على وفق بنية جسدك ،
فليس ثمة أسلوب واحد يناسب الجميع على السواء :

٧٧٤

٧٨٠

٢٣٤

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

Λ''

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

Λ•Λ

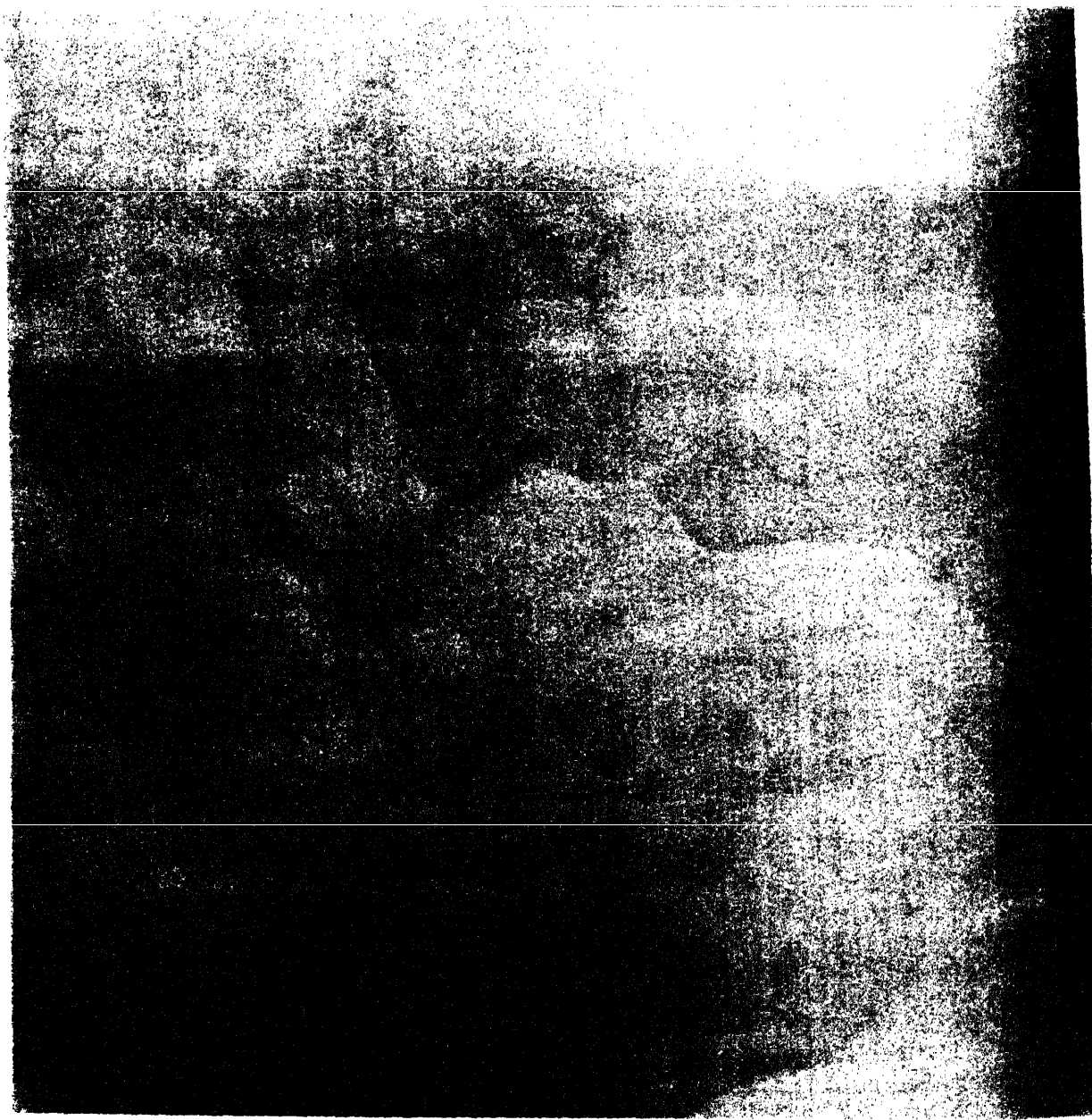
* * * *

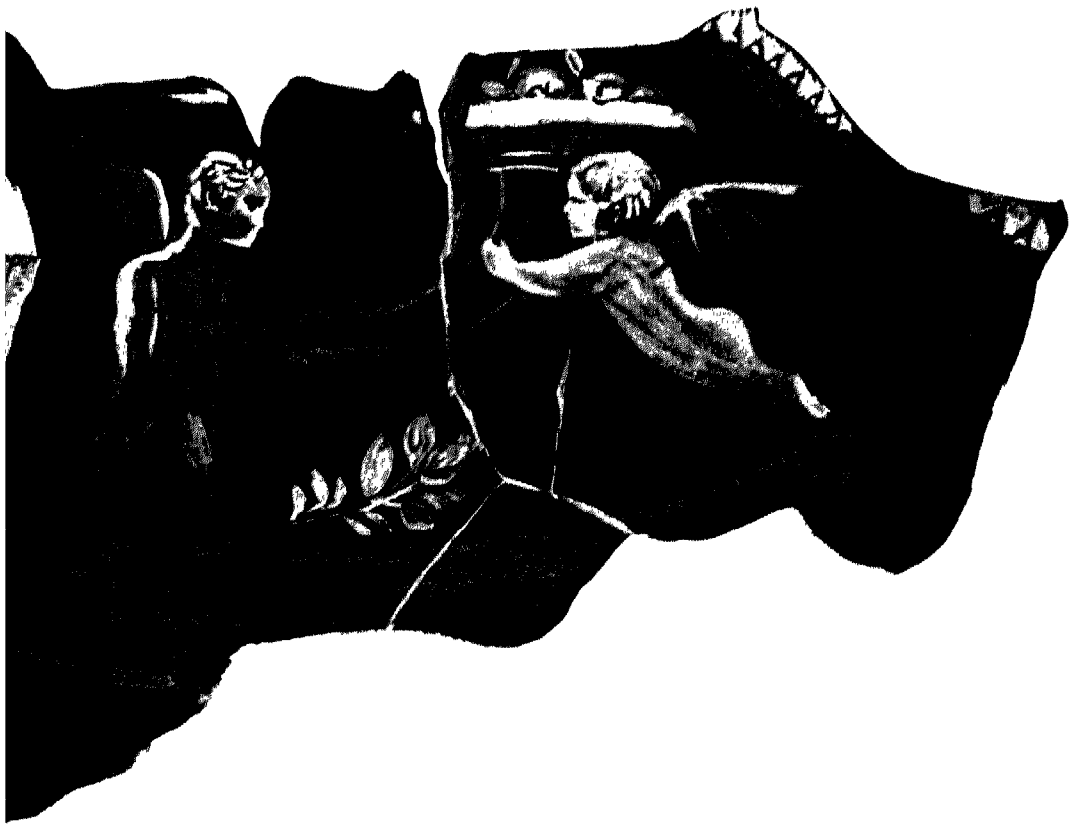
۲۳۶

والآن انتهت لعبتنا
وآن أوان هبوطي عن مركبتي
التي تجرّها البجعات . ٨١٠
وكما فعل الفتیان من قبلُ ،
على الفتيات أن يفعلن الآن ما فعلوا ،
أن ينقشن على غنائمهن :
« كان ناسو معلّنا » .

* * * *

تفقیات







الباب الأول

- (١) أوتوميدون هو سائق مركبة البطل أخيل ، وتيفيس ربان سفينة الأرجو التي استقلها چاسون مع خمسين من أبطال الإغريق بحثاً عن الفروة الذهبية .
- (٢) زعم الشاعر هسيود في الـ « تيوجونيا » أنه شاهد ربات الفن في أسكرا ، وهي مدينة صغيرة في بويوتيا بالقرب من جبل هيليكون وكانت موطن الشاعر هسيود .
- (٣) انفردت الحرائر الحيات بعصب شعورهن . وكان الغرض من التنورة « الترفيلة » أن يطول ثوب المرأة فيضفي عليها وقاراً .
- (٤) قد يكون المقصود هنا أهل أثيوبيا أو أهل النوبة إلا أن الشائع أن إنقاذ أندروميديا كان في سوريا . ويصف الكتاب الثالث من فن الهوى أندروميديا بأنها سمراء ، وفي هذا تلميح إلى ما عني به بيرسيوس نفسه في حب أندروميديا السمراء وبين يديه غادات روما ١ .
- (٥) جارجارا مدينة على جبل إيدا في آسيا الصغرى .
- (٦) ميثينا مدينة في جزيرة ليسبوس .
- (٧) نسبت نشأة روما إلى أنيئاس الطروادي بن فينوس وبطل إنياذة فرجيل .
- (٨) رواق پومپيوس بجوار الملعب المسمى باسم پومپيوس الذي اشترك في الحكم مع يوليوس قيصر وكراسوس وقهر مثر يداتس في معركة نيكوپوليس .
- (٩) هو رواق أوكثافيا أخت الامبراطور أوغسطس ، وكانت قد أقامت ذلك الرواق تكريماً لذكرى ابنها ماركيللوس . كما شيدت مكتبة تخليداً لذكراه ، وسمى الامبراطور ملعباً باسمه .
- (١٠) ليثيا هي زوجة الإمبراطور أوغسطس . . .
- (١١) رواق داناوس بمعبد أبوللو فوق تل پالاتينوس ، وكان يضم تماثيل لبنات داناوس الخمسين وهن يتأهبن لقتل أبناء عمومتهم الذين أرغمن على الزواج منهم . وكانت بنات داناوس حفيدات ييلوس ملك مصر ولسن بناته كما ورد في نص أوفيد .
- (١٢) كانت عبادة أدونيس متصلة بمعبد فينوس ، وكان عيده أحبّ أعياد روما إلى قلوب العاهرات .

- (١٣) يفهم معنى السورى وقتذاك سكان الشرق الأوسط . وكان الكثير من اليهود يقطعون روما وخاصة بعد فتح أورشلهم (القدس) على يدي يومبيوس عام ٦٣ ق.م . وقد قُتل يومبيوس في المياة الإقليمية المصرية بعد معركة فارساليا الشهيرة ، وكان هذا الرواق مزداناً بالنافورات والأشجار الظليلة .
- (١٤) كثير اما كانت إيزيس المصرية تُقرن بإيو عشيقه چوپيتر ، وكان لها معبد في حقل مارس بروما . أما إيو فهي عشيقه چوپيتر التي مسختها زوجته جونو بقره انتقاما منها .
- (١٥) كان ثمة معبد في فورم چوليوس لفينوس الأم « فينوس چنيتركس » ، وبجانبه نافورة « آكوا آپيا » التي سميت بهذا الاسم لأن المياة كانت تصلها عبر قناطر الماء المرتفعة التي شيدها السّنّسور آپوس كلاوديوس .
- (١٦) السابن شعب لاتيني إيطالي اشتهر بأنه أول من حمل السلاح ضد أهل روما انتقاما ، بعد اختطاف الجند الرومان لنسائهم أثناء مشاهدتهم لألعاب مسرحية كن قد دعين لمشاهدتها . وبعد معارك طويلة خضعوا للرومان واندرجوا في سلك المواطنة الرومانية .
- (١٧) كان هذا الموكب يبدأ من جبل الكاپيتولينوس ويبلغ الملعب بعد مروره بسوق المواشي ، ثم يصل سيره في حلبة الملعب . وكانت التماثيل العاجية تُحمل فوق الأعناق فتصفق الجماهير لتمثال أحبّ الآلهة إليها : الجنود لتمثال مارس إله الحرب ، والعشاق لتمثال فينوس إلهة الحب .
- (١٨) الفورم هو ساحة السوق .
- (١٩) قتل القائد كراسوس وابنه في معركة كاراي خلال قتاله مع البارثيين [٥٣ ق.م] واستطاع الجيش البارثي أن يستولي على البيارق الرومانية كلها .
- (٢٠) جايوس قيصر هو بن أجريبا وچوليا ابنة الامبراطور أوغسطس ، وكانت العدة تعد لإيفاده في حملة ضد فراطيس ملك البارث ، غير أنه لقي حتفه بعد أن جرح في إحدى المعارك ، ولم يستطع أن يحقق الآمال التي أشار إليها أوفيد .
- (٢١) أمير الشباب هو اللقب الذي كان يُخلع على من له الحق في قيادة موكب الفرسان السنوي بروما .
- (٢٢) لم يكن له حقاً غير أخ واحد هو يوليوس قيصر .
- (٢٣) أنجبت داناى عشيقه چوپيتر پيرسيوس الذي تزوج أندروميديا فولدت له پيرسيس .
- (٢٤) يداعب كيويدي باكخوس ، وعندما يبلل جناحيه بالنبيذ يثقله فيمنعه من التحليق .
- (٢٥) بايبي مصيف بحري مختار لأهل روما قديما ، وقد اندثر الآن بفعل الزلازل .
- (٢٦) هو معبد يانا النيمورنسية إلى جوار بحيرة نيميه القريبة من روما . وكان كاهن المعبد عبدا هاربا يقتل سلفه كي يتقلد وظيفة المُلْك والكهانة في آن واحد . وكانت هذه الغاية من أحب الأماكن للعشاق .
- (٢٧) يمثل أوفيد ثاليا إحدى ربّات الفن [ربة الملهاة] تعطي مركبة ذات عجلتين تلميحاً إلى بيتي القصيدة الإيليجية ، وكان أحدهما أطول من الآخر .
- (٢٨) هو كاوانوس الذي وردت قصته في الكتاب التاسع من مسخ الكائنات الـ « ميتامورفوزيس » .
- (٢٩) في كريت .

(٣٠) أغوى ثيتيس بن بيلوپس زوجة أخيه أتريوس المدعوة إيروبي فزنى بها ، الأمر الذي جعل إله الشمس يخفى وجهه عن موكتاي .

(٣١) هي سكيللا التي كثيرا ما يُخلط بينها وبين الوحش الذي يحمل الاسم نفسه . وقد اختلط الأمر كذلك على قرجيل نفسه في « الرعويات » .

(٣٢) كير يوسا هي إحدى بنات كريون ملك كورنث ، وكانت على وشك الزواج من چاسون بعد هجره لميديا ، إلا أنها تلقت من ميديا رداء مسسوما أحرقها يوم زفافها ، ولها اسم آخر هو جلاوكي .

(٣٣) فييكس هو بن أمينتور وهيوداميا . وكان أمينتور قد هجر زوجته من أجل عشيقته ، فحثت هيوداميا ابنها فينيكس على أن يغوي عشيقته أبيه . وإذ نجح في مسعاه رماه أبوه بالعقم ، ففر فينيكس إلى ثيساليا حيث استقبله بيلبوس ونصبه معلما لابنه أنخيل ، وصاحب أنخيل إلى طروادة وكان مستشارا له خلال الحرب ، ويقول البعض إن أباه رماه بفقدان البصر فحرم الور . وهذه هي الرواية التي أخذ بها أوفيد .

(٣٤) هيپوليتوس هو ابن ثيسوس الذي راودته فايدرا زوجة أبيه عن نفسها وازدراها ، فاتهمته زورا بأنه حاول أن يبال منها ، فطلب أبوه من الإله نيتون أن يهلكه ، فعرض له وحش من البحر وهو يقود مركبته على الشاطئ فسقط من على المركبة مر بوطا في عنانه وظلت الخيل تجره حتى مات .

(٣٥) تزوج فييوس بن أجينور ملك طراقيا من كليوباطره بنت بورياس وأولدها ولدين ، وبعد موتها تزوج من إيدايا بنت داردانوس التي اتهمت ابني كليوباطرة بالتآمر ضدها فغضب فييوس وقضى بسمل عيونهما . وثار جوييتير غاضبا وخير فييوس بين الموت والعمى عقابا له . واختار فييوس ألا يبصر في الشمس فغضب منه إله الشمس ، وعذبه بأن أرسل له طيور الهارپيس لتلويث طعامه كلما انكب عليه .

(٣٦) أي من الأسف أنك لا تستطيعين مقابلة خيانة زوجك بالخيانة .

(٣٧) أي لا مغازلة في تلك الأيام التي يألف الناس فيها إعطاء الهدايا ، إذ قد يُنتظر منك كرمًا يفوق ما تقدر عليه . ومن هذه الأيام أعياد الميلاد وعيد أول أبريل وهو عيد مهرجان الربيع فييوس [وكان عيداً لأهل العريضة والعاهرات] وكانت الغنائم والهدايا التي يتبادلها أهل روما في عيد الإله ساتورن تعرض علنا في الملعب الأكبر « سيرك ماكسيموس » ، كما كانت تعرض السلع الثمينة بجوارها لكي يشترىها الجمهور . وجرى العادة بأن تعد الأيام مشثومة إذا ما كانت الثريا منخفضة وكوكبة الجديين شديدة القرب من الأفق ، وكذلك اليوم الذي يفيض فيه نهر الآليا [يوم ١٨ يولييه] . ففي مثل هذا اليوم من عام ٣٩٠ ق.م. هزمت قبائل الغال الجيوش الرومانية ، ومن ثم أصبح يعدّ يوم شؤم . والمقصود بيهود الشام اليهود الذين يحرمون كل شيء يوم السبت عدا الصلاة .

(٣٨) هذا اقتباس عن إنبيادة قرجيل [الكتاب السادس : ١٢٩] .

(٣٩) قديما خطّ أكونتيوس رسالة على تفاحة بعث بها إلى سيديبي نصّها « أقسم بديانا لأتزوجن أكونتيوس » ، ولما تلّتها سيديبي وكان ذلك على ملأ ، أصبحت ملتزمة بالقسم .

- (٤٠) يُضرب المثل بينيلوبي في الوفاء للزوج الغائب ، إذ صمدت عشرين سنة لإغراء الرجال في مدينتها أثناء غياب زوجها أوديسيوس في حرب طروادة ومغامراته البحرية .
- (٤١) جرت العادة بأن يُخصى كهنة كويلي قبل الالتحاق بخدمتها ، وكانوا يقلدون المجانين في صيحاتهم أثناء تأدية طقوسها بدق الدفوف والصراخ بلا حياة .
- (٤٢) أريادني هي من أعطت الخيط لثيسوس بعد أن وقعت أسيرة غرامه لكي ينشره خلال تجواله في المتاهة، ويعرف به طريقه أثناء العودة .
- (٤٣) أحبت فايدرا هيبوليتوس ابن زوجها ثيسوس حباً آمماً وراودته عن نفسها ، وإذ أبى أدعت لزوجها أنه قد راودها فحق عليه العقاب .
- (٤٤) أحبت فينوس أدونيس بن سينيراس ملك قبرص ، ولكنه قضى نحبه في شبابه بعد أن فتك به خنزير بري رغم تحذيرات فينوس .
- (٤٥) صفة لباكخوس مشتقة من صيحات عابديه .
- (٤٦) كان ترتيب الانتخاب يجري بالاقتراع ، وقد يعني النص «مُعلن الانتخاب» .
- (٤٧) اللايث شعب همجي كان يعيش في جبال نيساليا ، اشتهروا خلال صراعمهم مع القنطور الذين استضافهم اللايث في حفل زفاف پريثيوس أحد أمرائهم من هيبوداميا ، وقد ثمل القنطور فأهانوا العروس . ومات عدد كبير من القنطور أثناء الصراع ، ومن بينهم يورثيوس وكان أول من أهان العروس .
- (٤٨) أبولوس بن چوپيتر وحاكم الرياح وإلهها .
- (٤٩) كثيراً ما استند النقاد على هذه الأبيات للقول بأن أوفيد كان لا أدرياً في معتقده . ولكن تمنع النص بين أنه يقر عبادة الآلهة بل يحبها على ألا يظن الناس [كما كان الفلاسفة الأبيقوريون يظنون] أن الآلهة في سمواتهم لا يهتمون بما يحدث في الدنيا . فيعتقد أوفيد أن الآلهة يتدخلون في أمور البشر من وقت لآخر ومن حيث لا يشعرون ، لذلك تحسن عبادتهم عبادة خاشعة على أمل أنهم سيثيبون الأبرار ومن لا يضر الآخريين . وواضح أن أوفيد كان يخشى ألا يستطيع الإنسان أن يعيش حياة صالحة إذا لم يستشعر قوة عليا تراقبه وتحاسبه . أما عن الديانة التي كان يعينها فلم تكن تلك الديانة البدائية الغليظة التي ترتبط بالعبادات اللاتينية المحلية الشعائرية ، ولكن ما يعنيه كان الديانة الإغريقية العامرة بالأساطير اللامحة الرامزة لحياة النفس وحالات الطبيعة . وليس من مكان للديانة المحلية سوى ربة الحظ « فورтона » التي لا ترقى إلى مستوى الآلهة وإن كانت تعد منفذة لإرادتهم في أمور الدنيا . وكان هذا الميل نحو الديانة الإغريقية القديمة متجلياً أيضاً في اتجاه الامبراطور أوغسطس ، لما في الديانة القديمة من تمجيد لفكرة النظام والاستقرار رغم تقلبات الطبيعة والدهر . فكانت الديانة الرسمية في الامبراطورية الرومانية تعد الامبراطور بمثابة ممثل شخصي لرب الأرباب چوپيتر على الأرض ، بل كان يلقب « الإله الحاضر بيننا » فأصبحت بذلك

الديانة الرسمية وسيلة لربط الأمة بولاء ديني موحد ومشارك لا يهتم بتعاليم دون أخرى ، وإنما يفتح المجال للديانة الموحدة الإغريقية القديمة التي لا ترتبط بألهة قبائلية محلية متفرقة ، كما كانت الحال في إيطاليا قبل تأسيس الامبراطورية الرومانية ، فأصبح الآلهة حلفاء الدولة والدولة حليفة الآلهة .

أما أوفيد فكان يحاول مساهمة العقيدة الرسمية السائدة لأسباب بدينية ، وإن كان لا يهتم كثيراً بأمر السياسة والمسلك على حد قول الأستاذ هرمان فرنكل في كتابه « أوفيد ... شاعر بين عالمين » : لم يؤمن أوفيد إلا باثنين : الفن والإنسان . واهتمامه بالأساطير هو من مظاهر إيمانه بالفن والآداب وليس دليلاً على معتقدات دينية معينة .

(٥٠) فالأريس طاغية أجريجتوم ، كان قد طلب إلى بيريوس الفنان الأثيني أن يصنع له ثوراً نحاسياً يحشر في باطنه المجرمين ويحرقهم أحياء فتصدر صيحاتهم تحاكي حوار الثور .

(٥١) كان أوريون قناصاً شهيراً يصيد الحيوانات المفترسة في غابات ديريكي بجوار طيبة ، حيث عذبت ديريكي بأن شددت إلى ذيل ثور متوحش جرها على الصخور عقاباً لها على أسرها لأنتيوني مطلقاً زوجها ليكوس ملك طيبة . وحولها الآلهة بعد ذلك إلى نافورة رحمة بها .

(٥٢) دافيس هو ابن هرميس [مركوريوس] وإحدى الحوريات ، اشتهر بأنه مبدع الشعر الرعوي . ولد في أجمة من شجر العار حيث تركته أمه ليموت ، إلا أن حوريات الغابة رعيته وربيته كما علمه الإله بان عزف الناي فبرع وامتاز . وكان جميلاً وسياً أحبته بعض نساء البشر وبعض الحوريات ، بيد أنه خان إحدى الناياديس التي كانت تعشقه فانتقمته منه وأعمته . فرفعه هرميس إلى السموات وفجر ينبوعاً من مكان صعوده أخذ الرعاة يختلفون إليه كل عام لتقديم القران إلى روحه .

(٥٣) باتروكلوس كان صديق أنخيل الحميم اشترك معه في معارك الحرب الطروادية حتى قتله هكتور ، فحزن أنخيل على موت صديقه حزناً شديداً . وهذا يعني أن تلك الصداقة الكبرى بين الاثنين كانت تحرّم على باتروكلوس أن يخون صديقه بأن يغازل شريكة فراشه وهي أسيرته بريزيس .

(٥٤) كان بيريوس ملك اللايث صديقاً حميماً لثيسوس فرعى حرمة زواج هذا الأخير من فايدرا .

(٥٥) كانت هرميونيه زوجة لأريستيس ، أما فيلاديس فكان أعز أصدقائه .

الباب الثاني

- (١) هوميروس وهزيودوس .
- (٢) جاء بيلوبس من فريچيا إلى إيليس وطن هيبوداميا وفاز بها زوجة في سباق للمركبات .
- (٣) إيراتو كلمة مشتقة من إيروس « الحب » ومعناها الحبيب ، وهو اسم ربة الشعر الغنائي والغزلي .
- (٤) عندما هرب دايدالوس من أثينا التجأ إلى كريت حيث شيد المتاهة سجنًا للمينوطور . وعندما أعرب عن رغبته في العودة إلى أثينا رفض الملك مينوس الإذن له بذلك .
- (٥) نسبة إلى كلاروس ، وهي مدينة أيونية كان لأبوللو فيها هاتف إلهي .
- (٦) هارمونيا اسم بديل لثيساليا التي اشتهرت وقتذاك بالسحر .
- (٧) يشير أوفيد هنا إلى ما كان يسمى « بالهيبومانيس » ، وهو كالورم على جبين المهر تنتزع الفرس بأنيابها فور ميلاد مهرها . وقد اشتهر هذا الورم بمقدرته السحرية إكسيرا للحب . ويقول فرجيل في كتابه الثالث عن فن الفلاحة أن مصدر هذا الإكسیر عصارة يفرزها مهبل الفرس . ويقول البعض الآخر إن مصدر هذا الإكسیر عصارة نبات لا يوجد في غير أركاديا .
- (٨) جبال في إيطاليا الوسطى اشتهرت بالسحر .
- (٩) كان نيريوس ملكا لناكسوس وابناً لخاروبس وأجلاليا ، ذاع صيت جماله في كل مكان . وكان أحد قادة الجيوش الإغريقية في حرب طروادة ، ووصفه هوميروس في بدء الإلياذة بإعجاب شديد .
- (١٠) هيلاس بن ثيوداماس ملك ميسيا ، اختطفه هرقل وأبحر به في سفينة الأرجو صوب كولخييس . وإذ رست السفينة على شواطئ آسيا نزل بحارة الأرجو إلى البر ليملاًوا خزاناتهم بالماء العذب ، فذهب معهم هيلاس حاملاً قدرا ، ولما بلغ الينبوع سقط في بركة أمامه ففرق . ويقول الشعراء – ومنهم فرجيل بصفة خاصة في رعوته السادسة – إن حوريات الماء وقعن في غرامه فاختطفنه إلى أعماق البركة . ولما علم هرقل بذلك انفجر حزنا لفقدان أعز غلام عنده وملأ الغابات والجبال بصرخات أساه ، ويقال إنه ترك سفينة الأرجو وذهب ليجث عنه .
- (١١) أنظر المقدمة .
- (١٢) المقصود هنا الملك ريزوس، فالأودريسيون لقب من ألقاب شعب طراقيا .

- (١٣) جدول صغير في طرواده يصب في نهر اسكندر باسيا الصغرى .
- (١٤) طائر طويل الجناحين مشقوق الذيل .
- (١٥) هي إيروس ، والمقصود هنا الهامات الموجودة في غابة البلوط المجاورة لمعبد چوپتر بدودونا حيث يتكهن الهاتف الآلهي بالمستقبل من خلال تلك الهامات .
- (١٦) أتانلانا فتاة من بويوتيا اشتهرت بجمالها وبسرعة عدوها ، أعلنت أنه لن يظفر بها زوجة إلا من يتخطاها في السباق ، أما من تتخطاه هي فصيره القتل حتى صادفت هيومينيس أو ميلانيون على حد قول بعض الشعراء فسبقها بالحيلة وفاز بها زوجة له .
- (١٧) السهم الأول من قوس القنطور هيلايوس الذي حاول أن يستأثر بأتانلانا ، أما السهم الثاني فصدده قوس كيبيد .
- (١٨) جبل مقدس للإله بان في أركاديا يختلف إليه الرعاة . وكان هذا الجبل مكسواً بغابات شاسعة من جبل الصنوبر تغنى بها أكثر الشعراء الرومان في قصائدهم .
- (١٩) يروى أن هرقل قد وقع في غرام الملكة أومفالوس التي كانت قد اشترته عبداً لها وأنها بادلتها الحب . وحرصاً منه على أن يبقى إلى جوارها أبداً تزيى بثياب الوصيفات وانتظم في صفوفهن يغزل معهن الصوف . والمقصود من هذه الرواية الكناية عن مدى استعباد الحب لبطل مشهود له بالقوة مثل هرقل .
- (٢٠) تزوج أدميتوس ملك فيراي بئيساليا من ثيوني ، وبعد عرسها بقليل تزوج من ألسستيس ابنة پلياس . ويروى أن أبوللو بعد طرده من السماء نزل ضيفاً على أدميتوس وأحبه حباً شديداً فرعى قطعانه تسع سنوات وتضرع إلى ربات القدر أن يصفين الخلد على أدميتوس بشرط أن يقدم غيره حياته بدلاً منه ، فقدمت زوجته ألسستيس حياتها تضحية من أجله .
- (٢١) وقعت هيرو إحدى كاهنات معبد فينوس الجميلات في شرك حب لياندر أحد فتيان أبيدوس في آسيا الصغرى . ومن شدة هيامه بها كان يهرب ليلاً من دار أسرته ويعبر الملبسبون للقاء هيرو التي كانت تقف في سيستوس على الجانب الأوروبي من المضيق رافعة شعلة من فوق برج عال . وظلت هذه اللقاءات الليلية حتى غرق لياندر في ليلة عاصفة ، فيشت هيرو وألقت بنفسها من فوق البرج وماتت غرقاً في البحر مثل حبيبها .
- (٢٢) تقدم نساء روما القرايين والأضحيات يوم ٧ يونيو للإلهة چونو كاپروتينا [أي چونو الواقعة تحت شجر التين البري] ويسميه الرومان « چوناي كاپروتيني » . ويقام هذا العيد تكريماً لذكرى ذلك اليوم الذي أسلم فيه الرومان إلى العدو الغالي إماء مرتديات ثياب زفاف سيداتهن بدلاً من السيدات والعذارى اللاتي طالب بهن الغاليون الرومان فدية لمدينتهم روما ، حتى إذا بلغن معسكر الغال تسلقت إحداهن شجرة تين برية ولّوحت بإشارات متفق عليها إلى جيش الرومان الذي عرف بذلك مكان العدو فهاجمه وقضى عليه .
- (٢٣) اقتبس أوفيد هذا البيت عن « الرعوية الثانية » لشرچيل (البيت ٥٢) . وأما ريليس اسم أطلقه فرچيل على راعية

- من الرعاة في قصائده « الرعويات » . ويزعم بعض الشراح أنها اسم مجازي لمدينة روما نفسها .
- (٢٤) ميدوسا هي إحدى الجورجونات الثلاث . وكانت وحدها من بينهن تجري عليها أحكام الفناء بخلاف أختيها الرهيبتين . وكانت شعورهن أفاعى ونظراتهن تمسخ من يتطلع إليهن حجرا . واشتهر بيرسيوس بأنه قطع رأس ميدوسا وثبته على ترس أهدته إياه الإلهة منيرفا (باللاس) ، فكان كل من يتطلع إلى ترسه يتحول إلى حجر .
- (٢٥) كان التبخير بالكبريت والطواف بالبيض في حجرة المريض من طقوس عبادة الإلهة إيزيس في روما كي ينال عطف الإلهة . ويقال إن مثل هذه الطقوس كانت تجري في حالات الهوى الفردي .
- (٢٦) هامت فيليس ليكورجوس ابنة ملك طراقيا بديموفون بن ثيسوس حبا حين نزل إلى شواطئ طراقيا أثناء عودته من حرب طروادة . وأبحر ديموفون إلى أثينا بعد أن وعدا بالعودة بعد شهر ، غير أنه لم يف بوعده فألقت فيليس بنفسها من أعلى الجبل إلى البحر وغرقت .
- (٢٧) كان پروتيسيلوس حفيد فيلاكوس ملكاً لمنطقة في ثيساليا ، وكان أخا لألكيميديه أم چاسون ، تزوج من لاوداميا ابنة أكاستوس ثم انضم إلى جيوش الإغريق وأبحر معهم في حرب طروادة . وكان أول من وضع قدمه على الشاطئ الطروادي من بين الإغريق ، وكان الهاتف الإلهي قد تنبأ بأن أول من يهبط على أرض طرواده سيلقي حتفه . وقد قتله هكتور أو أينياس . ولما سمعت لاوداميا بالخبر المشؤم انتحرت .
- (٢٨) إشارة إلى نشوة الانجذاب التي تسيطر على كاهنات باكخوس ، ذلك الإله الذي كثيراً ما كان يصور برأس متوج بقرنين . أما آوونيا فاسم مرادف لبويوتيا وإن كان يطلق قديماً على جزء منها فحسب ، وهو ذلك الجزء الذي يقع فيه جبل هيليكون موطن ربات الفنون .
- (٢٩) يشير أوفيد إلى ميديا حين تزوج زوجها چاسون من غيرها ، بينما يقصد بالخطاف پروكني ابنة پانديون وزوجة تيريوس التي مسخت خطافاً بعد أن قتلت ابنها انتقاماً من أبيه حين زنى بشقيقتها فيلوميل .
- (٣٠) كان أجامنون قد رفض تسليم خريسيس ابنة الكاهن خريسيس الطروادي لأبيها إلى أن ابتلى الجيش الإغريقي بالطاعون فاضطر إلى ردها . وبعد ذلك اختطف أجامنون بريزييس التي كان أخيل قد فاز بها من قبل بين سباياه فغضب أخيل وانسحب من المعركة . وفي النهاية أخذ أجامنون كاساندر ابنة پريام بين سباياه من طروادة . ولما علمت زوجته كليتمنسترا ذلك كله دبّرت اغتياله بمعونة عشيقها .
- (٣١) جبل إريكس بصقلية الذي يضم معبداً لقيئوس .
- (٣٢) كان ماخاوون وبداليريوس ابني اسكليپوس إله الطب ، وكانا طبيبي الجيش اليوناني أثناء حصاره لطروده .
- (٣٣) كانت الكلمتان « اعرف نفسك » [جنوئي سياوتون] منقوشتين على أعلى باب معبد أبوللو في دلفي .
- (٣٤) يشير أوفيد إلى الهاتف الإلهي في دودونا الذي يتحدث من خلال حفيف أشجار البلوط بالقرب من معبد زيوس الپيلازحي .

(٣٥) النار والماء رمزان للحياة الزوجية عند الرومان ولهما أيضاً معنى التطهير . وكان العريس يقدمهما لعروسه حين تطأ قدمها بيت الزوجية ، فالنار والماء كتابة عن الزواج الشرعي .

(٣٦) يشير أوفيد إلى الطقوس السرية في إليوسيس، وهي مدينة قديمة في أتيكا اشتهرت بعبادة ديميتير [سيريس عند الرومان] وطقوس التخصيب . وكانت أدوات العبادة في عقيدة سيريس تُخفى في صناديق حتى لا تقع عليها غير عيون القائمين على شعائرها . وصامو طراقيا جزيرة في بحر إيجه لُقّت بالقدسة لشهرة أهلها بشدة التمسك بعقيدتهم وليلاد كل الطقوس الدينية في العالم الهيليني على أرض هذه الجزيرة التي أصبحت ملجأً آمناً لأي عبد آبق أو مجرم هارب .

(٣٧) العرض من صك الصنوج تحذير لغير أتباع العقيدة الملقّين أسرارها حتى لا يقتربوا من مكان ممارسة الطقوس .

(٣٨) هذه هي الوضعة التقليدية لفينوس في الفن التي يتخذها تمثال أفروديتي لبراكستيليس ، مع استخدامها اليد اليمنى بدلا من اليسرى في ستر عورتها .

(٣٩) كان ثمة مستشاران جمهوريان يسميان « السنسوريس » في الدولة الرومانية ، أنشئت وظيفتهما عام ٤٤٣ ق.م. للقيام بإحصاء الشعب وتقدير أملاك كل مواطن وتحديد الضرائب والهيمنة على النظام العام والآداب .

(٤٠) هيرميونيه ابنة منيلاوس من هيلينا وقد تزوجت من أورستيس

(٤١) جورجيه هي ابنة ألثايا الفاتنة من أوينيوس ملك ايتوليا

الباب الثالث

(١) الأمازونات أمة شهيرة من النساء كانت تقطن بجوار الثرمودون في كبادوسيا ، وكانت حياتهن وقفا على الحروب ومآثر البطولة . ولم يكن يضاجعن الرجال إلا بين الفينة والفينة للإنجاب فقط ، فإذا نسلن ذكورا أهدبهم إلى آبائهم على حين يحتفظن بالإناث . وتقول رواية بأنهن كن يمزقن الذكور إربا إربا عند ولادتهم على حين كن يربين الإناث تربية عسكرية قاسية ، حتى إذا بلغن سن الرشد استؤصل ثديهن الأيمن بالكي حتى يستطعن قذف الرمح بلا عائق وتسديد السهام كذلك . وكلمة أمازون مشتقة من كلمتين يونانيتين « آه » وتعني النفي ، و« مازا » وتعني الغلال ، لأن الأمازونات اشتهرن بأكل اللحوم فقط . وكانت هن دولة كبيرة في آسيا الصغرى على شاطئ البحر الأسود ، وقد هاجمهن الإغريق مرارا حتى هزموهن في بلادهن الأمر الذي أدى إلى نفيعن وانتشارهن في كافة أنحاء عالم البحر المتوسط . أما بنثيسيليا فكانت أشهر ملكاتهن وتنسب سلالتها إلى الإله مارس . وقد حاربت في صفوف الجيش الطروادي وقتلها أخيل ، ويقال انه لما رآها قتيلة أمامه بكى حزنا على جمالها . وهناك رواية بأن أخيل قد سمل عيني بنثيسيليا قبل أن يقتلها وأن أحد أبطال الإغريق وهو ثيرسييتيس قد شهد ذلك فاضطر أخيل إلى قتله . وهناك رواية أخرى بأنه قد ضاجع بنثيسيليا وهي ميتة وأن ثيرسييتيس قد شهد ذلك أيضاً . وإذا كان ثيرسييتيس صديقا لديوميديس فقد غضب الأخير لمقتل صديقه فأمر بأن تجر الجياد جثة بنثيسيليا سبب المصيبة وأن يلقي بها في نهر اسكندر .

(٢) كانت إيريفيليه زوجة أمفيارووس الذي أخفى نفسه حتى لا يرافق جنود مدينة أرجوس في حملتهم ضد طيبة ، إذ كان قد علم من كاهن أنه سيلقي مصرعه حتماً لو رافق الحملة . غير أن پولينيكس بن أوديب استهوى إيريفيليه بقلادة ذهبية حتى كشفت له عن مخبأ زوجها ، فاضطر أمفيارووس إلى الاشتراك في المعركة التي لقي فيها مصرعه ، ولكنه كان قد أوصى ابنه قبل رحيله بقتل أمه لو بلغه نبأ موته ، وبالفعل قتل الابن أمه .

(٣) حينما لقي پروتيسيلوس زوج لاوداميا حتفه في مستهل حرب طروادة بسيف هيكتور صنعت لاوداميا تمثالا خشبياً لزوجها كانت تضعه على الفراش بجوارها حتى اكتشف حموها فعلها فأمر بإحراق التمثال فألقت بنفسها في النار مع التمثال من فرط حزنها ويأسها .

(٤) كانت إيفادني بنت إيفيس الأرجوسي قد تمتعت على أيولو مفضلة عليه كإبانيوس أحد الأبطال السبعة المعادين

لطيبه . فأرسل چوبيتر صاعقة قتله لتوه لكفره برب الآلهة . وعندها ألقت إيفادني بنفسها في النار التي أشعلتها الصاعقة فيه .

- (٥) مثّلت الفضيلة دائما في شكل امرأة ترتدي ثوبا أبيض وقورا .
- (٦) أحبت فيليس بنت ملك طراقبا ديموفوون بن ثيسوس الذي وفد ضيفا على أبيها خلال عودته من حرب طروادة ، ثم أبحر ديموفوون إلى وطنه في أثينا بعد أن وعدا بالعودة إليها لكنه أنسبها ولم يعد . وقيل أن فيليس قد عدت تسع مرات صوب البحر لعلها تشهد عودة مركبه دون جدوى . وبعد أن يشت ألقى بنفسها من فوق صخرة إلى البحر ، وسمي الطريق الذي سلكته « بطريق السبل التسع » .
- (٧) أكاد أذهب إلى أن أوفيد لم يقصد فئة البغيات اللاتي كن يتمتعن في روما بامتيازات معينة كما يدعي بعض الشراح ، بل يقصد استغلال المرأة لمفاتها ، والسياق كله يؤيد ما أذهب إليه .
- (٨) هامت دياناجبا بأنديميون الراعي حين شاهدته ينام عاريا على سفح جبل لاثموص وكانت تهبط إليه كل ليلة ليضاجعها . وقيل إن أندميون كان راعيا مولعا بالفلك يصعد كل ليلة إلى قمة جبل لاثموص كي يرقب حركة النجوم في السماء .
- (٩) كان كيفالوس روحا لير وكريس وقد أولعت به « أورورا » ربة الفجر فاخترقته ، ولكنه لم يستجب لإغرائها وألح في العودة إلى زوجته فأعادته الإلهة إلى پروكريس في صورة تاجر ثري حاول غواية زوجته ، فنجح بعد لأي ثم كشف لها عن حقيقة نفسه غاضبا ، ففرت پروكريس خجلا إلى جزيرة يوبويا حيث انضمت إلى وصيفات الإلهة ديانا إلى أن عاد إليها كيفالوس يستر ضيها فأبت معه .
- (١٠) أنجبت فيثوس أبياس من أنخيسيس ، كما أنجبت هارمونيا أو هرمونيه من الإله مارس .
- (١١) كان تيتوس تاتوس أحد ملوك شعب السابين ، شارك رومولوس في ملك روما وقت نشأتها ثم قتل سنة ٧٤٢ ق.م .
- (١٢) يشير أوفيد إلى معبد أبوللو وقصر أوغسطس وكلاهما يعلوان تل البالاتينوس .
- (١٣) نسبة إلى جبل كيليني في أركاديا حيث عثر الإله ميركوريوس على سلحفاة وصنع قيثارته من ذبلها (درقها) .
- (١٤) تعهد الملك يوريتوس ملك أوغاليا بأن يزوج ابنته إيولي من هرقل ثم نقض عهده وأوفد ابنته بعيدا ، فأجج هذا البعاد من هيام هرقل بها . وما أن أحاطت زوجته ديانيرا علما بهذا الغرام حتى أرسلت إليه الرداء الحارق المسموم الذي ما كاد يرتديه حتى أصابه الهلاك .
- (١٥) يفصّد أوفيد معبد هرقل وربات الفنّون في ساحة الملعب وقد شيده فولفيوس نوبليور عام ١٨٩ ق.م .
- (١٦) تزوجت إيو مريضعة باكخوس بت الملك كادموس و هارمونيا ، أثاماس ملك طيبة بعد أن طلق زوجته الأولى نيمبي و كان قد أنجب منها هريكسوس وهيلي . وما لبثت إيو أن أنجبت بنتا وولدا مضطهدة فريكسوس وهيلي . فوگيا الفرار طائرين إلى شه الملىء كوكلخيس منتظبين كبشا ذا فروة ذهبية

- (١٧) أماريلليس راعية بالقصائد الرعوية لفرجيل .
- (١٨) العبارة ذاتها غامضة في النص .
- (١٩) نهر في ميسيا بآسيا الصغرى .
- (٢٠) نهر في سيليسيا بآسيا الصغرى .
- (٢١) « في معالجة الوجه النسائي » . Medicamina Faciei Femineae
- (٢٢) هو مسحوق اسمه أويسيوم يقال انه كان يصنع من عرق الدواب مخلوطا بما يعلق بفراء الماشية من قدر . وقد تخصص إقليم أتিকা في صناعة هذا النوع من مساحيق الزينة ، وكان من أريج السلع فيها بعد العسل .
- (٢٣) ميرون مثال يوناني مشهور عاش في منتصف القرن الخامس ق.م نسب إليه التمثال الشهير لرامي القرص . وقيل إنه قد شكل بقرة فتن بها الثيران توهاً منها بأنها بقرة حية .
- (٢٤) « الإلهة الطيبة » اسم ولقب للإلهة الرومانية التي ترعى عفة النساء وخصوبتهن في آن معاً ، وقد حرم على الرجال اقتحام معبدها .
- (٢٥) اشتهر البارث بالفسق والمجون ، وكانت شريعتهم تتيح لرجالهم مضاجعة أخواتهم وأمهاتهم ، ومن ثم صاروا مثلاً في غشيان المحارم .
- (٢٦) سيميليه هي ابنة كادموس وهارمونيا (ابنة ميركوريس و فيوس) وحين أحبها چوبيتر أقنعتها چونو بدهائها بأن تطلب من عاشقها أن يبدو أمامها بكل مظاهر قوته وجبروته ، وإذ كان قد وعدّها بأن يجيب أي طلب تريده اضطرت إلى الظهور أمامها على حقيقته فأحرقها صاعقته ، بيد أن ميركوريس استطاع أن ينقذ الجنين من أحشاء حفيده وكان هذا الجنين هو باكخوس (ديونيسوس) .
- (٢٧) ليذا هي زوجة تنداروس ملك اسبرطة وقد أحبها چوبيتر وتحايل لمواطناتها بأن تحول إلى بئعة ، فأنجبت ليذا بعد تسعة شهور يفيستين حوت إحداهما هيلينا وپوللوکس وثانيتها كليتمنسترا وكاسترو .
- (٢٨) هام چوبيتر بأوروبا ابنة أجينور ملك فينيقيا فأحال نفسه ثورا ليقرب منها وهي تريض فوق مروج الشاطيء ، وما كادت تربت عليه ملاطفة حتى استدرجها إلى امتطائه ، وسرعان ما حلق بها عابراً البحر حتى أدرك شواطئ كريت . وهناك عاد إلى شكله الحقيقي وضاجعها فأنجبت له مينوس وسارپيدون ورادا مانتوس .
- (٢٩) يقصد أوقيد منارة الاسكندرية ، غير أن معنى البيت غامض . وقد فسر البعض على أن المقصود هو التمساح الذي كانت تصنع من حراشيفه المجففة المسحوقة بعض مساحيق التجميل .
- (٣٠) هناك أسطورة متأخرة تعتبر أوديسيوس ابناً لسيريفوس الذي اشتهر بالمكر والخداع ، ومن ثم يسبب مكر أوديسيوس إلى أبيه . والإشارة هنا إلى الأوديسا لهوميروس (الكتاب الثاني عشر ١٦٦) .
- (٣١) اشتهر أمفيون ملك طيبة وزوج نيوبي بأنه شيد أسوار طيبة بسحر الألحان التي عزفها بقيثارته .
- (٣٢) كان أريون عازفاً مشهوراً على القيثارة وشاعراً غنائياً وقد صاحب برياندر ملك كورنثه إلى شواطئ إيطاليا حيث

جمع ثروة من عزفه وشعره . وخلال عودته إلى بلاده حاول بحارة السفينة التي كان يستقلها اغتياله للاستيلاء على ثروته فأمهلهم حتى يسمعونهم نشيداً افتتن به الدرافيل في الماء ، فألقى بنفسه في البحر ممتطياً أحدها حيث عاد به إلى قصر برياندر الذي قضى على البحارة جميعاً بالصلب جزاء لهم .

- (٣٣) پروبير تيوس شاعر غنائي من العصر الأوغسطي اشتهر بالشعر المشحون بالعواطف توفي عام ١٥ ق . م .
(٣٤) جالوس شاعر وخطيب من العصر الأوغسطي وكان صديقاً لقرجيل ولد عام ٦٩ ق.م. وتوفي عام ٢٦ ق.م.
(٣٥) تيبولوس شاعر من العصر الأوغسطي اشتهر بالشعر الغرامي الإيليجي وكان صديقاً لطوارس وأوفيد .
(٣٦) فارو شاعر روماني ترجم قصائد ملاحى الأرجو لأبولونيوس روديوس إلى اللاتينية ، وكذا بعض المراثيات والإبيجرامات .

- (٣٧) إشارة إلى إنياذة قرجيل .
(٣٨) نهر ليتي بالعالم السفلى إذا اقتربت منه أرواح الموتى أنسيت حياتها في الدنيا .
(٣٩) للأسف أن قواعد لعب النرد عند الرومان والإغريق ما زالت مجهولة .
(٤٠) مياه العذراء اسم جدول كانت تصل مياهه إلى روما فوق قناطر مشيدة .
(٤١) تدخل الشمس برج العذراء (أو السنبلة) في شهر أغسطس .
(٤٢) كلمة بالاتيا تعني القصر ، وكانت تطلق على قصر الامبراطور المقام فوق تل بالاتينوس ، وقد سمي بها القصر نسبة إلى تل بالاتينوس . ثم أصبحت تطلق على كل مبنى هام فوق تل بالاتينوس ، وقد سمي بها كذلك معبد أبوللو الذي شيده الامبراطور أوغسطس فوق تل بالاتينوس .

- (٤٣) تزوج أجريبا جوليا ابنة الامبراطور أوغسطس وشيد « بوابة ملاحى الأرجو » عام ٢٥ ق.م. تمجيداً لانتصار روما في معركة أكتيوم ضد المصريين .

- (٤٤) أي معبد إيزيس التي لقيت عبادتها إقبالا شديداً في روما وقتذاك واختلط الأمر بينها وبين إيو التي مسختها الإلهة جونو بقرة .

- (٤٥) المقصود هنا ملعب پومپيوس الذي افتتح عام ٥٥ ق.م. وملعب ماركيلوس الذي شيده الامبراطور أوغسطس تكريماً لذكري ابن اخته ماركيلوس ، وملعب بالبوس الذي افتتح عام ١٣ ق.م.
(٤٦) ثاميراس موسيقى شهير من طراقيا هام بربات الفنون ، ثم تحداهن في مباراة موسيقية ، وانفقوا على أن يكون الخاسر رهن مشيئة الفائز ، فخسر ثاميراس وفقأت ربات الفنون عينيه وحرمنه صوته الرخيم وحطمن قيثارته . كذلك اشتهر ثاميراس بأنه مبتكر اللواط في العالم .

- (٤٧) أموبيوس عازف أثيني ذاعت شهرته وأصبح اسمه كناية عن مهارة العزف .
(٤٨) الشاعر إينيوس (٢٣٩ - ١٦٩ ق.م.) هو أبو الشعر الروماني في أغلب صيغته وخاصة الملحمة .
(٤٩) سكيبيو الأفريقي قائد روماني عظيم غزا شمال افريقيا .

(٥٠) داناي هي بنت أكريسيوس وطئها چوپيتر في صورة سيل من الذهب حين سجنها أبوها في برج منيع درء النبوءة عراف بأن حفيده سيقضي عليه . وشاءت الأقدار أن تتحقق النبوءة ويقضي عليه حفيده بيرسيوس عن غير قصد .
(٥١) تنسب بعض الأساطير إلى ميزرقا [أثينا أو باللاس] ابتكار المزمار ، وقيل إنها نفخت فيه أمام فينوس وچونو فسخرت الإلفتان من تشوه وجهها بينا تنفخ ، ووافقتهما ميزرقا الرأي حينما طالعت صورتها منعكسة على صفحة الماء فكدفت بالمزمار بعيدا ، وتكهنت بالموث لمن يعثر عليه ، حتى وجده مارسيا و مات مسلوخ الجلد .

(٥٢) كانت تكسا أسيرة لأچاكس ومن ثم لازمها الإكتتاب .

(٥٣) كانت عصا الكرم الرمز المميز لقائد السرية « سنتوريون » ، وترمز إلى حقه في جلد جنوده العصاة .

(٥٤) هي أسماء العاشقات الثلاث للشعراء تيبولوس وپروپيرتيوس وجاللوس أصدقاء أوغيد .

(٥٥) الاسم المستعار لخليلة أوغيد .

(٥٦) عاهرة أثينية مشهورة .

(٥٧) كان الپريتور يلمس بصولجانه الأمة الجديدة بأن تعتق ، ومن ثم فإن هذه العبارة كناية عن المرأة الحرة .

(٥٨) أُرْجُسْ هو حارس إيو ذو المائة عين الذي قتله ميركور يوس .

(٥٩) كان النبيذ الأسباني يعد في روما نوعا رديئا .

(٦٠) اشتهرت جزيرة ليمنوس بأن نساءها قتلن أزواجهن جميعا .

(٦١) يروى أوغيد هذه القصة بالتفصيل بكتابه « مسخ الكائنات » .

(٦٢) التر سوس أو صولجان باكخوس هو قضيب تلتف عليه مخاريط الصنوبر أو عناقيد الكروم .

(٦٣) قد تكون المقصودة بالتشبيه هنا هي لاوداميا زوجة پروتيسلاوس ابن ملك ثيساليا الذي هجر زوجته للاشتراك في الحرب الطروادية فكان أول من صرعه الطرواديون من الآخيين . وقد حزن لاوداميا عليه حزنا شديدا وأرسلت شعرها منسابا فوق كتفها دليل لوعتها ، ثم صنعت تمثالا خشبيا على هيئة زوجها وراحت تحتضنه كلما نامت بفراشها كما سبق القول . وعندما علم حموها بذلك أمر بحرق التمثال فألقت لاوداميا بنفسها في المحرقة معه . والتشبيه هنا غامض بعض الشيء لعدم مواكبته سياق النص الأوغيدي .

(٦٤) اشتهر الفرسان البارث بالتظاهر بالانسحاب أمام العدو لاستدراجه ، ثم يستديرون بأجسادهم على صهوات جيادهم يطلقون سهامهم على غرة صوب أعدائهم بينا جيادهم لا تزال منطلقة في الاتجاه نفسه كأنهم يفرون .

(٦٥) حامل فوبيوس الثلاثي هو الحامل الذي كانت تجلس عليه العرافة الشهيرة بمعبد دلفي ، ويذكر الحامل أحيانا كناية عن العرافة .

(٦٦) قيل إن باكخوس قد شيد محراب آمون ذي القرنين تمجيذا لأبيه چوپيتر آمون . وقد لقبه باسم آمون لأنه كان قد ظهر على شكل الإله آمون المصري في رؤيا لهرقل ، أو على قول البعض في رؤيا لباكخوس نفسه حين كاد العطش يودي به في صحراء أفريقيا فأرشدته چوپيتر آمون إلى ينبوع ماء . وكان معبد چوپيتر آمون في سيوه بصحراء مصر الغربية ، وكان به عراف شهير جاء إلى المعبد قبل عهد الامبراطور أوغسطس بثمانية عشر قرناً تقوده يمامتان طارتا من صحراء مصر الغربية ثم اختفتا . واعتاد هرقل وپيرسيوس وغيرهما اللجوء إلى هذا العراف . وحينما تنبأ بأن الاسكندر هو ابن چوپيتر انصرف عنه الناس لنفاقه . وأغلب الظن أن الاسكندر هو مشيد هذا المعبد .



شَبْتُ الْمَرَّاجِعِ

- CARCOPINO, Jérôme: «*La Vie Quotidienne à Rome à l'Apogée de l'Empire*» Edition Hachette. Paris 1939.
- CARY, M., DENNISTON, J. D., DUFF, J. Wight, NOCK, A.D., ROSS, W.D., SCULLARD, H., with the assistance of ROSE, H. P. and SOUTER, A., : «*The Oxford Classical Dictionary*». Oxford 1949.
- FRÄNKEL, Hermann : «*Ovid, A Poet between Two Worlds*». Berkeley and Los Angeles, 1945.
- PAOLI, Ugo Enrico : «*Rome, Its People, Life and Customs*» Longmans Green and Co. Ltd. London 1967
- PARIS, Gaston, : «*Les Anciennes Versions Françaises de l'Art d'aimer et des Remèdes d'amour d'Ovide, dans la Poésie du Moyen-Age.*» Première Série. Paris 1885.
- RAND, E. K. : «*Ovid and his Influence*». Boston 1925.
- SCHEVILL, Rudolph : «*Ovid and the Renaissance in Spain*», Los Angeles 1913 .
- SHAPIRO, Norman R. (Translation) with WADSWORTH, James B. (notes and commentary) : «*The Comedy of Eros, Medieval French Guides to the Art of Love*». Urbana, Chicago, London, 1971.

SIMPSON, D. P. : «*Cassell's New Latin-English, English-Latin Dictionary*». London, 1959.

WILKINSON, L. P. : «*Ovid Surveyed*». Cambridge, 1962.

WRIGHT, F. A. : «*Lemprière Classical Dictionary of Proper Names Mentioned in Ancient Authors*». London 1949
(first published in 1780)

تمّ طبع الكتاب
بمطابع الشُّرُوق

هكذا الكتاب

ما يكاد القارئ يطالع « فن الهوى » لمؤلفه أوقيد حتى يستهويه ما جاشت به عواطف هذا الشاعر ، وما انطلق به لسانه في عبارات أنيقة وصياغة دقيقة للأساطير القديمة ، فيها مزيج من ثقافة عصره وأحاسيس وجدانه ، حتى لقد انتزع إعجاب الكثرة من علماء العصور الوسطى ، كما ترك أثراً واضحاً في مختلف فنون العصور التالية وخاصة عصر النهضة .

ويجمع هذا الكتاب بين دفتيه ثلاثة كتب أنشأها المؤلف في العامين الثاني والأول قبل الميلاد ، وكان قد بلغ الأربعين أو زاد عليها قليلاً . فليس غريباً إذن أن تكون نظرته للحب غيرها حين كان في العشرينات . فما من شك في أن المؤلف كان ذا خبرة واسعة في فنون الهوى تتفق ورجل اكتملت له رجولته موزعاً زهرة عمره بالقسطاس بين المتعة العاطفية والحسية ، فوقف في النهاية على قمة تجاربه والقاء ممسكاً بزمام تلك العاطفة عليمًا بخباياها ، فإذا أوقيد يسوق الحب على أنه لعبة أو تسلية ، فجاء عرشه يتسم بالسخرية ينال فيها من يشاء ، يستوي في ذلك أن يكون من نال منهم آلهة أو بشراً . ورأى أن يقدم إلى شباب جيله والأجيال التالية حصيلة خبراته أستاذاً متمكناً ، مغلفاً هذا كله بغلاف من خفة الظل والذكاء ، مازجاً بينه وبين الأساطير التاريخية وثقافة عصره .

ويشرح أوقيد في الكتاب الأول كيف يجد طالب الهوى ساعياً ليستولي على قلب خليلته ، وفي الثاني يعلمه كيف يحتفظ بحبها إلى أطول أمد ممكن . وفي الكتاب الثالث يتوجه إلى المرأة بنصائحه فيعلمها كيف توقع الرجل في حبالها ، وكيف تحتفظ به تحت أقدامها أطول مدة .

ومما نال من مشاعر أوقيد وأدمى نفسه نفي الإمبراطور أوغسطس له إلى مدينة جرداء على البحر الأسود إثر ظهور كتابه « فن الهوى » مدّعياً أنه دعوة لا أخلاقية ، بينما ينسب شاعرنا هذا النفي إلى إذاعته سرّاً من الأسرار لا لجريمة من الجرائم . ويشيع البعض أن النفي كان عقاباً على مغامرة طائشة لأوقيد مع جوليا ابنة الإمبراطور . وأباً كان السبب فلقد ظل الشاعر في منفاه إلى أن وافاه أجله المحتوم . وجاء الدكتور ثروت عكاشة ، الأستاذ الزائر بالكوليج ده فرانس الذي اختير لشغل « كرسي الدولة بها » عام ١٩٧٣ ، فنقله لأول مرة إلى اللغة العربية بعد ألفي عام من ظهوره ، وبعد أن ترجم من قبل كتاب أوقيد الشامخ « مسخ الكائنات » أو « ميتامورفوزيس » ، وذلك في عبارة طلية شيقة ، وزوّده بسبع وعشرين لوحة رسمها كبار الفنانين متفاعة من مختلف متاحف العالم تنطق نطق العبارات ، ويجد فيها القارئ بياناً وافياً .

تم احاطه الشرح بواسطة

مكتبة عملك

ask2pdf.blogspot.com